١٧٤

روايات احلام

لاَ زواج!

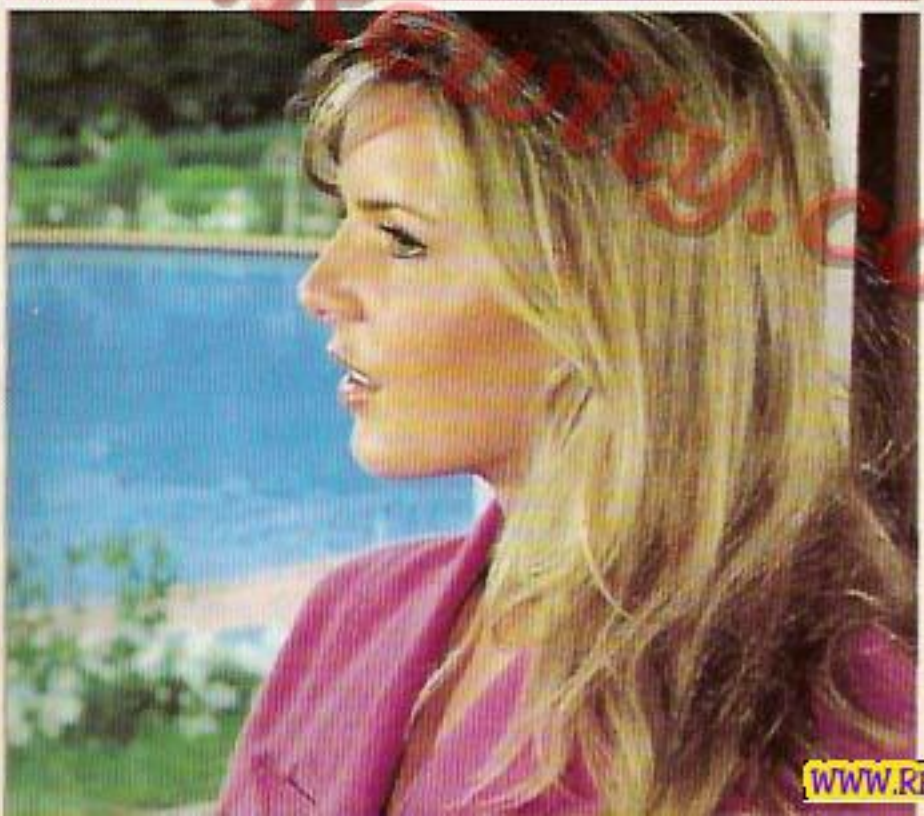

www.rewity.com
WWW.REWITY.COM

روايات احلام

لا رابح

إنها تكرهه... بروس آشلي يختصر في شخصه كل آلامها وكل أخطاء حياتها، فلماذا لا تستطيع أن تقاومه؟

-اطلبي مني أن أذهب... وسأذهب، وأعدك بألا أعود أبداً!

-هل هذا ابتزاز؟

-أريد كل شيء أو لا شيء... قوليها الآن أو لا تقولي شيئاً أبداً!

كوّنت حنجرتها كلمات الرفض ولكنها لم تستطع التفوه بها...

-أظنك معتاداً على إقامة علاقات عابرة مع النساء... فأنا واثقة أن نجمات هوليوود يتدافعن للوصول إليك...

هذا ليس صحيحاً... أتعرفين السبب؟ السبب أنني رجل متزوج!

توهم بروس أنه ربح معركته مع غالي ولكنه سرعان ما اكتشف خطأه فقد كانت هذه جولة أخرى في معركة العمر بينهما... وفي الحب كما في الحرب، ليس هناك رابح...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٧٥ ل.س.	قطر ٦ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ٢ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

www.rewity.com
WWW.REWITY.COM

روايات أحلام

مجلة قصصية اسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة
للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

العنوان: طريق المطار ـ قرب جسر المطار
سنتر زعرور ـ الطابق الثالث
ص. ب: ١١/٨٢٥٤ ـ بيروت ـ لبنان
هاتف/ فاكس: ٨٤١٤٠٢ ـ ١ ـ ٩٦١

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

جميع حقوق الطباعة والنشر والاقتباس
والتأليف محفوظة للشركة

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

تنفيذ وطباعة موسسة دلتا للطباعة والنشر

حارة حريك ـ تلفاكس ٥٥٧٣٣٦/ ٠١

١ ـ لقاء بطعم النار

لم تكن الحفلة ناجحة بالنسبة إلى غالي. ففي منتصف السهرة استعارت قميصاً من خزانة ملابس مضيفها دراك.

ـ لم أعرف أنها حفلة شواء لذا لم أحضر معي سترة.

كانت الحفلة بمعظمها في العراء، ومع أنهم في الصيف إلا أن غالي شعرت بالبرد بفستانها الأبيض الرقيق، المكشوف الكتفين.

أعارها دراك قميصاً حريرياً أبيض خطوطه ذهبية رقيقة تماثل السلاسل الذهبية الثلاث المتدلية من عنقها. وقال:

ـ يبدو عليك أجمل مما يبدو عليّ.

أردف وهي ترفع الأكمام حتى المرفقين وتخرج شعرها الأشقر من تحت الياقة:

ـ هل تستمتعين بالسهرة؟

أجابت بنعم، ولكنها في الواقع كانت تكذب من أجله. وضع ذراعه حول كتفيها واقتادها إلى حيث كان المدعوون في الخارج. لكنه سرعان ما تركها ليلعب دور المضيف. فكان أن أمضت ساعتين وهي تصغي بأدب إلى أحاديث زائفة.. كانت الجمل الطنانة تردد فيها بعدم مبالاة أو فهم. راحت تتبادل الأحاديث القصيرة مع بضعة أشخاص يبدو عليهم الارتباك لأنهم على ما يبدو في غير مكانهم. إنها عضو في جمعية الأدب والفنون المرئية التي تقيم هذا التجمع باسمها ولكن غالي كانت تشفق على الزوجات اللاتي هجرهن شركاؤهن بسبب انخراطهم في حديث الفن

www.rewity.com
WWW.REWITY.COM

والأدب مع زملائهم.

ما إن أصبحت الساعة الحادية عشرة والنصف حتى وجدت أنها سئمت أكثر من المعتاد.

استندت إلى شجرة مزينة بالأنوار الملونة وراحت تراقب رئيس الجمعية المطلق ثلاث مرات وهو يحاول ببراعة إغواء شقراء جميلة تكاد تكون في نصف عمره.. كانت تتساءل عما إذا كان من الأفضل لها المغادرة بكل وقار عندما سمعت كورساً من الأصوات يصيح:

ـ هاي.. إنه بروس.. هاي.. انظروا.. عاد بروس.

قبل أن ترتد غالي لتنظر إلى الوافد الجديد، بدا أن الحفلة انتقلت من مكانها. فحتى الرئيس ترك شقراءه الصغيرة وحث الخطى إلى الشرفة المرصوفة بالآجر ليصفع بروس على ظهره ويسأل لماذا لم يقدم له دراك بعد شراباً.

قال بروس ضاحكاً: رويدك يا رجل.. لقد وصلت للتو!

بروس رجل طويل. أضفى على رأسه الأسود الضوء القادم من باب البيت المفتوح هالة ذهبية. كادت غالي لا ترى وجهه بسبب النور، ولكن الناس تجمعوا حوله وبدا كأنه يرفع رأسه لينظر مباشرة إليها.. وكمن يرمي بشجرة شاي إلى النار، أضاء لهب كهرماني عينيه فتوهجتا بطريقة غريبة مخيفة. أحست غالي بكوب العصير في يدها يهتز، فشدت قبضتها عليه وأحست بأن حنجرتها انقبضت مؤقتاً.

تحرك شخص ما من أمامه ليقدم له شراباً. فعندئذ قالت بينها وبين نفسها أنها تصورت أمراً.. تصورت أن عينيه أمسكتا بعينيها.. وتصورت ردة فعلها.

قال صوت ما:

ـ أبقي شيء من ذلك الخروف المشوي؟ يجب أن تأكل منه بروس طعمه ألذ ما يكون.

تحرك الجميع معه سالكين المنحدر الخفيف المغطى بالعشب بقصد

الوصول إلى موقد النار. ضغطت غالي نفسها على الشجرة وهي تشعر برغبة في أن تنظر إليها مجدداً.

تعلقت امرأة شابة بذراعه، فالتفت إليها مبتسماً.. كان لهب النار يتلاعب على وجهه محدداً أنفاً مستقيماً زائد الطول قليلاً، وذقناً عنيداً.. ثم رفعت امرأة أخرى أصابع وردية الأطراف على كتفه ورفعت نفسها على أطراف أصابع قدميها وعانقته، فلف ذراعه الحرة حولها.. في هذا الوقت كانت غالي تشد أسنانها بقوة وتراقب ما يجري.. ثم أنهت ما في كوبها دفعة واحدة.. واستحوذت عليها رغبة شديدة في رمي الكوب الزجاجي إلى النار لتنفس عن غضبها.

ارتفعت أصوات الحفلة مجدداً بنغم جديد مثير.

سمعت من مكان قريب شخصاً يقول:

ـ إنه بروس آشلي.. المخرج.. أتعرفه؟ لقد أخرج ذلك الفيلم التاريخي الرائع الذي يتحدث عن تحطم سفينة في القرن السابع عشر، وأكل الماوريون طاقم السفينة وخطفوا زوجة القبطان.

ـ أوه.. شاهدته! ألم يلق نقداً لاذعاً في أميركا؟

ـ ولكن فيما بعد انتزعته هوليود ليخرج أفلاماً هناك.

ـ أجل.. هذا صحيح! ماذا يفعل هنا في نيوزيلندا؟ أهو في عطلة أم...

ابتعدت غالي التي شعرت بارتجاف في ركبتيها.. قالت لنفسها إنه ما كان عليها أن تتأثر هكذا بوجوده. أصبحت الشرفة فارغة نسبياً إلا من مجموعة صغيرة في الزاوية.. وكان عليها المرور عبر مجموعة أخرى في المطبخ لتضع كأسها من يدها.. في الردهة، ضغطت نفسها إلى الجدار لتتجنب شخصين، وابتعدت إلى مكان فيه جماعة من الرجال الذين يتجادلون بصخب.

وجدت باب غرفة دراك مفتوحاً.. فدخلت وأغلقت الباب وراءها فابتعد بذلك الضجيج عنها.. جلست على السرير وراحت تبحث عن دليل

الهاتف الذي وجدته في درج خزانة السرير الصغيرة. فتشت عن رقم وكالة تاكسيات وطلبته. لكنها أحبطت عندما وجدت الخط مشغولاً.

طلبت رقماً آخر فتلقت النتيجة عينها. شعرت بأن السماعة العاجية اللون تكاد تنزلق منها، فتوقفت قليلاً لتمسح كفيها ونهرت نفسها على سخافتها.

سحبت نفساً عميقاً، ورفعت السماعة مرة أخرى.

طلبت رقماً آخر. وكانت تنتظر حين انفتح الباب ودخل دراك.

قال بحماس وهو يدفع الباب خلفه:

ـ حبيبتي! هل أنت بانتظاري؟

ردت: ليس لك مثل هذا الحظ. أحاول طلب تاكسي.

جلس قربها على السرير ثم وضع ذراعه على كتفيها:

ـ هل ستتركيني؟ كيف يمكنك هذا غالي! غالي حب حياتي!

ردت بطريقة آلية: «أنا وعشرات أخريات».

وضعت السماعة من يدها لتحاول رده عنها:

ـ هيا الآن دراك. تعرف أن هذا لن يفيدك.

ـ يا لقلبك القاسي!.. تبدين مثيرة جداً وأنت ترتدين قميصي. هذا غير عادل.

أنزل ذراعه عنها فوقفت:

ـ كنت على وشك أن أخلعه.

تأوه بحركة مسرحية وغطى عينيه.. ثم رفع يده وحاول إمساكها مجدداً ولكنها تجنبته ببراعة. في هذا الوقت ارتدت فرأت الباب ينفتح على مصراعيه.

نظر إليها بروس آشلي للحظات.. ولكنها في هذه المرة لم تكن مخطئة. كانت عيناه الزرقاوان مشتعلتين فشهقت بسبب قوتهما الصاعقة.

قال بصوت باتر عميق: «آسف».

ثم ارتد على عقبيه وخرج تاركاً الباب مفتوحاً. أرجع دراك القميص على كتفيها مجدداً

ـ احتفظي به الآن. أرجعيه لي في وقت آخر. عجباً. ماذا أراد؟

قالت غالي وهي تحاول استعادة صوتها:

ـ يريدك أنت على الأرجح.

لكن صوتها ارتجف وهذا ما ضاعف من انزعاجها.

قال دراك مؤنباً:

ـ حقاً غالي عزيزتي. حتى ولو كان من ذلك الصنف. أعني هل رأيت مثل حيويته المفرطة؟ تعرفين أنني لست هكذا! لكن امنحيني الفرصة لأبرهن لك عن رجولتي!

ـ تفكيرك مقرف!

لكنها لم تغضب فدراك شخص مسلٍ غير مؤذٍ. لكنها الآن تريد الابتعاد عنه، عن الحفلة بل عن الجميع.

ـ أشكرك لدعوتك إياي إلى هذه الحفلة الجميلة، ولإقراضك إياي القميص. سأسير حتى الطريق الرئيسية لأستأجر تاكسياً من هناك.

ـ بمفردك؟ لا يمكنك فعل هذا؟ انتظري قليلاً. أنا قادر على إيصالك.

ـ لا. حقاً.

جادلها، وعرض مرافقتها، ولكنها رفضت. وعندما استدعاه أحدهم استطاعت التسلل هاربة. عج الشارع بالسيارات المتوقفة على الجانبين ولحقت بها أصوات الهرج والمرج. كانت تسلك الشارع الرئيسي عندما عرفت أن أحدهم يلاحقها. وعرفت أنه ليس دراك.

حثت الخطى، وعيناها على أنوار الشارع المشعة وعلى السيارات المارة، لكن وقع الأقدام تابعت اللحاق بها، وقبل أن تصل إلى الزاوية أصبح من يلاحقها قربها.

ارتدت بسرعة مراجعة فتوقف بروس آشلي الذي راح يراقب أنفاسها

المتسارعة. كان يدس إبهامه في حزام بنطلون جينز أسود برنديه مع قميص. ولكن وقفته أجبرت كتفيه على الانحناء إلى الأمام قليلاً فأعطته جواً من العدوانية الرجولية.

أحست فجأة بالدوار فقد تعبت من السير بتلك السرعة

سألها فجأة:

ـ هل أخفتك؟ عليك ألا تسيري بمفردك في الظلام

ـ أريد استئجار سيارة من موقف التاكسيات. لم يصبني ضرر.. إلا إذا كنت تريد أن تصبح مغتصباً مجنوناً

برق شيء ما في عينيه، عندما تكلم ارتدت كتفاه قليلاً وبدا صوته فظاً:

ـ سيارتي موجودة هناك.. سأقلك إلى البيت

وأمسك ذراعها.

أحست بعضلات وجهها تتصلب. وأصبحت بشرتها شديدة الحرارة.. أما هو فبدت تعابيره قاسية ملؤها الإصرار لكنها جذبت ذراعها منه وشعرت بالصدمة والدوار:

ـ أنا بخير

ـ بالتأكيد.. سأقلك.

كانت قبضته هذه المرة أكثر حزماً، وأدركت أن من المنافي للوقار أن تقاوم. ولعل ما شنت أعصابها عليها أن جزءاً منها يريد أن يوافق ولكنها قالت وهو يقتادها:

ـ لا يمكنك ترك الحفلة.. لقد وصلت للتو.

سأل بصوت ملؤه الاهتمام

ـ وهل لاحظت هذا؟

بعدما أقفل لها باب السيارة ارتد ليتسلم مقود القيادة.

قالت «لاحظ الجميع ذلك.. لقد أحدثت ضجيجاً هائلاً».

أدار محرك السيارة: «لكنك لم تنضمي إليهم».

ـ كنت على وشك المغادرة.. ولم أعتقد أنك رأيتني

ـ يا لهذا التواضع!

تورد وجهها بقوة.

أضاف بشكل عفوي: وأنت كاذبة.. تعرفين أنني رأيتك.

سوت جلستها قربه وعزمت النية لئلا تتلاقى عيونهما مجدداً. ما إن توقفت السيارة أمام مفترق الطريق الرئيسية حتى قالت: «أسكن في «ريمويرا».

هز رأسه ثم وجه السيارة إلى الطريق الرئيسية، ولكنه ما لبث أن انعطف يساراً فذكرته ببرود:

ـ قلت أسكن في ريمويرا.

ـ سمعتك ولكننا ذاهبان إلى منزلي.

سحبت نفساً عميقاً سريعاً.

ـ بإمكانك الذهاب إلى حيث تشاء، أنا ذاهبة إلى منزلي.

لم يرد، وعندما اضطر إلى التوقف مرة أخرى أمام الضوء الأحمر مدت مقبض الباب ولكنه لم ينفتح.

قال دون أن ينظر إليها:

ـ لا يمكنك فتحه، أقفلته من عندي، إنه قفل اليكتروني.

لم تكن قد لاحظت السيارة كثيراً عندما ركبتها. لكن رائحتها تدل على أنها سيارة جديدة.. في هذه اللحظة أدركت أنه لم يسبق لها أن نعمت بمثل هذا الترف في سيارة.. ولكنه قادر بالتأكيد على شراء أفضل السيارات وأثمنها.

قالت بصوت خشن:

ـ هذا غباء، لا يمكنك اختطافي...

ـ لا تكوني مأساوية التفكير هكذا، أنا لا أخطفك ولن أغتصبك.

ـ وكيف أتأكد من كلامك؟

ـ لأنني أقول لك هذا فثقي بكلمتي.

www.rewity.com
WWW.REWITY.COM

ـ هل يفترض بي أن أثق بكلامك؟

ـ في الوقت الحاضر، لا خيار آخر لك.

ـ ماذا تريد؟

ـ أنت سخيفة

ـ اسمع.. هلا أقلتني إلى منزلي، لا أريد الذهاب إلى منزلك.

ـ إنه مكان لطيف.. وقد يعجبك متى وصلت.

نفد صبر غالي بسبب لهجته العابثة:

ـ لا يهمني أي نوع من المنازل هو! إذ لا يجوز لك اصطحابي إلى أي مكان رغماً عني

ارتد إلى شارع جانبي ثم توقف فجأة في مكان فارغ تحت شجرة قديمة كبيرة، وأطفأ المحرك.. دنت يدها من جديد من مسكة الباب ولكنها تذكرت أنه مقفول.

امتدت يده تعبث بشعرها، وترده إلى الخلف بلطف على كتفيها.. ثم راحت أصابعه تلامس خدها برقة.. وأسرت عيناه عينيها بحيث لم تستطع إبعادهما عنه، وقاومت تهوراً يكاد يدفعها إلى إدارة خدها إلى كفه.

كرر كلامها بصوت منخفض.. غصباً عنك؟

أجبرت نفسها على إدارة رأسها عنه:

ـ لا تلمسني!.. دعني وشأني!

رأت يده تتحرك مرة أخرى لتديرها إليه، فضربته راحة يدها.. ونظرت إليه فرأت أنها أثارت غضبه.. وأن تحت هذا الغضب شعوراً لا يستطيع إخفاءه، عندئذ تحركت قلقة.

أبعد حزام الأمان عنه ثم أبعد حزامها، بعد ذلك أطبقت يداه على كتفيها.. وضعت يديها على صدره، تحاول إبعاده.. ولكن نبضاتها كانت تتسارع بمزيج من الخوف والإثارة المترددة.

قال مرة أخرى وهو يتمتم الكلمات قرب أذنها:

ـ غصباً عنك؟

للحظة كادت تستسلم.. ثم كورت يديها ولكنه لم يعطها فرصة لمهاجمته، فقد رفع رأسه وامتدت يده تتخلل شعرها وتمسكه لتشد رأسها إلى الخلف. للحظات رأت عينيه تبرقان في الظلام

همست: «لا تفعل هذا»

لكنه لم يهتم لما تقول.. أما هي فارتجفت بسرعة بين ذراعيه مع أن جسمها كان يقاوم، وتحركت مشاعرها أكثر فأكثر حتى بات من الصعب الهروب منها.

توقف عن شدها إليه، لكنه ظلّ ممسكاً بها.. كانت عيناها مغمضتين وإحدى يديها مسجونة في دفء قلبه الخافق، والأخرى على عنقه.

تحركت بسرعة فارتدّ قليلاً إلى الوراء، وأمسك يدها بيده، يرفعها إلى شفتيه

ثم قال بصوت ضاحك:

ـ لسنا مراهقين.. وما هذا المكان المناسب لنا، فلنذهب.

قاد السيارة ببطء ثم توقف في طريق داخلية لمنزل في الظل، كانا في مكان ما في منطقة «هيرن باي» قرب «هاربر بريدج» عندما قال: تعالي حبي..

ملست شعرها عند صدغيها ثم قالت بصوت مرتجف: لا..

نظر إليها غير مصدّق فكررت:

ـ لا.. أنا أعني ما أقول.

اشتدت يده على يدها حتى تألمت:

ـ لا أصدقك.. أثبت لي للتو أنك لا تعنين أبداً قول لا.

سحبت نفساً عميقاً مرتجفاً:

ـ صدّق أو لا تصدق، إنها مشكلتك.. فإن لم تقلني إلى منزلي، سرت حتى موقف التاكسيات.

جذبت نفسها منه.

صمت للحظات طويلة ويداه مشدتان على المقود، ثم ارتد إليها وقال

بصوت قاس.

ـ لمن كل هذا الإخلاص؟ دراك كوفلتغ؟

ـ ماذا؟

ـ هل هو.. صديقك؟ عشيقك؟

ردت ببرود:

ـ ولو أن الأمر لا يعنيك.. لا.

ـ لقد بدوتما في موقف حميم وأنت تخلعين ثيابك في منزله، في غرفة نومه بالذات. كان عليكما إقفال الستائر والباب.

ـ لم يكن الأمر كما تعتقد، ولكنني غير مضطرة لشرح الموقف.

انطلقت يداه تمسكان ذراعيها بشكل مؤلم.. وكأنما يريد أن يهزها.. ثم رأت عينيه تبرقان في الظلام. حاولت التحرر من قبضته، لكن دون جدوى. شدها إليه أكثر حتى وقع نور الشارع على وجهها فبدت عيناها رغماً عنها متسعتين خائفتين وبدت بشرتها مشدودة بسبب خوف مفاجيء.

ظهر عبوس بين عينيه وحاجبيه السوداوين. وتغير التعبير من الغضب إلى شيء لم تستطع تعريفه، ثم تركها فجأة بحيث تهاوت إلى الخلف على المقعد. نظر إليها للحظات بصمت، ثم ارتد عنها ليدير المحرك.

قال: قولي لي في أي شارع!

* * *

تحول خوف غالي إلى غضب أبيض ازدادت شراسته وكان بمعظمه موجّه ضد نفسها لأنها استجابت لعناقه.

كانت تغلي غضباً عندما توقف أمام منزلها.. الذي هو منزل شبه ريفي يقع خلف بعض الفيلات القديمة الفخمة التي تحيط بجانبي شارع ريمونرا.

خرج وفتح لها الباب ثم لحق بها في الممر القصير. أخرجت مفتاحها وقالت بلهجة ذات مغزى:

ـ عمت مساء!

ثم دست المفتاح في القفل ودخلت بسرعة إلى ردهة صغيرة. لكنه تبعها وأقفل الباب على مهل. ارتدت إليه وعيناها تشعان بشكل خطر.

أما هو فاستند إلى ألواح الخشب التي تكسو الجدار، وطوى ذراعيه متسماً:

ـ حسناً.. هيا.. قولي ما شئت.. أمامك خيارات عدة منها: كيف تجرؤ؟ أو: لا أذكر أنني دعوتك للدخول.. أم تفضلين القول: «أخرج من هنا»؟

قالت بصوت حاد بارد. «فكرت بما هو أبسط من ذلك».

وضعت حقيبتها والمفاتيح على الطاولة ثم أضافت:

ـ لو قدمت لك فنجان قهوة.. فهل تتركني وشأني؟

ابتعد عن الباب: هذا ممكن.

توجهت إلى المطبخ الملحق بغرفة الجلوس.. ثم توقفت بالباب متسائلة. بدا لها رجلاً لا يمكن زحزحته، رجلاً واثقاً كثيراً من نفسه.

ابتسم: «قد لا ترغبين أن أذهب».

تقلصت معدتها فقالت بحدة ساخرة:

ـ لا تخدعنَ نفسك.

ضحك مرة أخرى.. نظرت إليه.. إلى وجهه الأسمر.. وتساءلت كيف جعل وجوده كل شيء في الغرفة أصغر حجماً.. ثم انتزعت عينيها بعيداً ودخلت إلى المطبخ لتعدّ القهوة. أحست أن الشقة دافئة، فخلعت قميص دراك وعلقته على كرسي.

عندما أدخلت صينية القهوة وجدته واقفاً قرب خزانة كتبها يمسك مجلداً سميكاً بين يديه، يدرس الصورة على الغلاف السميك المغبر.

نظر إليها متفحصاً.

ـ لا تنصفك هذه الصورة.. كم كتاباً نشرت؟

ـ القليل.

وضع الكتاب قرب الصينية وقرأ عنوانه بصوت مرتفع:

ـ «لا رابح» بقلم غاليانت تونتر.

غضّت غالي طرفها لأنها شعرت مرة أخرى بالفخر والسعادة اللتان شعرت بهما عندما رأت اسمها للمرة الأولى مدوناً على غلاف الكتاب.. ولأنها لم ترغب في أن يرى هذا في عينيها ولأنها لم تشأ أن يعرف شيئاً عن مشاعرها أشاحت بوجهها.

قال مفكراً وعيناه على رأسها المنخفض: غاليانت تونتر.

أشارت إلى إحدى الأرائك بصمت، وقالت: أجل.

جلس ووضع السكر في فنجانه.. أخذت غالي فنجانها وجلست قبالته، فقال:

ـ لماذا لا تجلسين هنا؟

توقع أن ترفض ولكنها هزت كتفيها وجلست قربه.. مالت إلى الأمام لتسكب بعض الحليب في فنجانها فشعرت به يراقبها.. القستان ثابت ومشدود على جسمها، والسلسلتان الذهبيتان تتأرجحان حول عنقها ثم تستقران برقة على بشرتها. ولكنها لم تنظر إليه، مع أنها تشعر به بقوة هائلة.

سألته لتكسر الصمت: أترغب في الشوكولا؟

ـ أجل.. هل تمررينها لي.. أرجوك؟

التقطت الطبق الزجاجي الصغير الذي فيه قطع الشوكولا.

ـ واحدة فقط.. بأصابعك.

أعادت الطبق، وأخذت قطعة صغيرة من الشوكولا الحلو وحاولت إعطاءها إياه. لكنه أمسك يدها وقربها إلى فمه ليلتقط قطعة الشوكولا بأسنانه.

ثم سألها: «ألن تأكلي واحدة؟»

هزت رأسها نفياً.

ابتسم بروس، لكنها تجاهلت الابتسامة الصامتة والطريقة التي كانت فيها عيناه تجولان على جسمها. راحت ترتشف قهوتها، تريد إنهاءها بسرعة.

سألها فجأة: «إذن دراك ليس.. صديقك؟»

ـ لا.

ـ وهل لديك.. صديق؟

ـ وهل تعتقد أن لك الحق بطرح هذا السؤال علي؟

ـ غالي.. فلنترك التلاعب بالكلمات.. هل هناك صديق لك؟

ـ لا

ـ وهل كان هناك.. أحد؟

ـ حياتي العاطفية.. شأن خاص بي.

ضحك برقة: خيار سيّء للكلمات حبيبتي.

أدارت رأسها بعيداً وركزت على قهوتها.

سأل: «لن تكذبي علي.. أليس كذلك؟»

نظرت إليه باحتقار: ولماذا أزعج نفسي؟

نظر إليها وكأنه يشرحها ثم يتفحص كل شريحة على حدة.

ـ إذن.. لم يكن هناك أحد.. لماذا؟

أجبرت نفسها على النظر إليه ببرود:

ـ عشت تجربة سيئة، ولا أريد تكرارها.

ـ وهل كنت تنتقمين من كل الرجال بسبب تلك التجربة السيئة؟

هزت كتفيها وأجبرت نفسها على إخفاء غضبها وإحباطها.. إذ ليس لديها النية للسماح له بالتأثير فيها.

تمتمت: «المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين».

ـ ولهذا غيرت رأيك الليلة؟ حباً بالله.. كان بإمكانك أن تعرفي أن هذا أمر مختلف الآن؟

ردت ببرود شديد: حقاً؟ لا.. لم أعرف.

ضاقت عيناه على وجهها:

- هذا غير صحيح... لست غبية، ولا أظنك جبانة.

وجدت غالي أن الهجوم هو أفضل وسائل للدفاع... فدست في صوتها ما أملت أن يبدو تسلية.

- يا له من رد فعل ذكري مثالي! إن نعتي بكافة النعوت لن يوصلك إلى شيء... فليست المرة الأولى التي أرفض فيها تودد رجل ولا أعتقد أنها المرة الأخيرة... آسفة لأنني خيبت أملك... ولكنني رأيت نساء في الحفلة مستعدات للإذعان لك.

- وهل شعرت بالغيرة؟

- لا تكن سخيفاً!

- إياك أن تقولي لي إنك لم تكوني راغبة فيّ في السيارة... ما كنت لأؤذيك غالي.

قالت بلسانٍ لاذع:

- واثقة أنها كانت ستكون تجربة لن تُنسى... أظنك حظيت بخبرة واسعة في كاليفورنيا... لكنني سأرفض... شكراً.

عمّ ضحكته الغضب:

- ماذا سمعت عني في كاليفورنيا؟

- لقد عدت للتو من هناك... أليس كذلك؟ إنها ولاية المرح، أليس كذلك؟ إنها المكان الذي تبدأ فيه كل البدعات.

- تشاهدين التلفزيون كثيراً... الواقع أنني كنت مشغولاً كثيراً في صناعة الأفلام.

- أجل... المفترض أن تكون بارعاً.

رد بهدوء:

- أنا بارع فعلاً. لكن المنافسة شرسة... وبعضها جيد أيضاً... على المرء أن يكون على حذر دائم... لذا لم أكن أمضي وقتي في ملاحقة النساء على الشواطىء... أو في غرف النوم.

ارتشفت غالي ما تبقى من قهوتها، وأعادت الفنجان إلى الصينية.

في هذا الوقت أطبقت يد بروس على يدها، فتطلعت إليه بارتباك لترى ابتسامة مشدودة على شفتيه... رفعت رأسها واشتد ضغط فمها بثبات وبعناد ولكن نظراتهما تلاقت بتحد.

عندما وضع كوبه من يده، هبت واقفة ولكن معصمها ظلّ في قبضته وهذا ما جعله يضطر إلى الوقوف أيضاً.

وقفا بصمت يتبادلان النظرات، في عينيه طلب صريح فهمت ما هو... فتوردت وجنتاها.

قالت بصوت هامس: «بروس...».

بالكاد تحركت شفتاه وهو يتمتم ساخراً:

- تتذكرين اسمي إذن.

- لا أريد أن...

- لا تريدين أن... لا تقاومي حبيبتي... لا حاجة للمقاومة.

حاولت هز رأسها، لكن الحركة كانت ضعيفة... وأخذت خيوط الوتر الذهبية تشتد أكثر فأكثر... وكأنها تربطها أكثر وتعيق حركتها.

رفع يده الحرة، وبإصبع واحد، دفع بكل بطء خصلة من شعرها إلى الوراء، وكانت لمسة طويلة أرسلت ألسنة النار إلى كيانها، فأغمضت عينيها وقالت متوسلة:

- لا تفعل هذا!

عادت الخصلة إلى مكانها... ولكن أصابعه لاحقت مكان الخصلة على بشرتها ثم انفتحت يده فوق بشرتها، وقال:

- اطلبي مني أن أذهب... وسأذهب... وأعدك بألا أعود أبداً... هل فهمت؟

نظرت إليه بعينين واسعتين ملؤهما الاتهام:

- ابتزاز!

أضاف: «كل شيء، أو لا شيء... أريد أن أعرف، قوليها إذن... الآن! أو لا تقولي شيئاً أبداً».

انفجر غضبها ودفعت يديه عنها:

ـ أيها.. أيها النذل، بروس!

هبطت يداه عنها، أما هي فصفعته بغضب أعمى جعلها تشعر بصدمة قوية صدمتها وصدمته، فأفقدته توازنه.. رأت العلامة الحمراء على وجهه، والوعد بالرد في عينيه.. وعرفت أنها أطلقت عقال شيء ما كان فيهما هاجعاً غير بعيد عن السطح منذ اللحظة التي تلاقت فيها عيونهما في الحفلة.. شعرت بأن عليها أن تخاف منه.. ولكنها بدل هذا شعرت ببهجة غريبة، فقد عرفت فجأة أن هذه المواجهة كانت حتمية هذا المساء. كان كفها يلسعها بعنف، وكانت مسرورة لأنه يشعر بالشيء عينه. أرادت أن تؤذيه.. وهذا لم يصدمها.. ورأت أنه كان ينتظر الصفعة، وأن وراء الغضب في عينيه نوعاً شرساً من الاكتفاء.

ثم أخذت تقاوم كحيوان سجين بعدما حملها. استدار إلى الممر حيث وجد باب غرفة النوم فرفسه ليفتحه.

حررت غالي يدها ووجهتها إلى فكه، ومع أن الضربة خدرت يدها إلا أنه هدر وقال:

ـ إن صفعتني ثانية رددت الضربة..

ـ لن تجرؤ.. أيها الوحش.

ـ جربي يا جميلتي.

رماها فوق السرير.. ثم أمسكها حين حاولت الهرب وأسرها مثبتاً ذراعيها.

استخدمت كل ذرة من قواها لتقاومه، ثم استسلمت واستلقت لاهثة ساخطة، فعزم المعركة الغريب والمتوحش بدأ يخمد.. أحست بقوة عضلاته وهو يثبتها.. ولم يكن وجهه يبعد عن وجهها إلا إنشات، لكنها لم تستطع رؤية تعابير وجهه بسبب الظلام في الغرفة. ولكنه كان يتنفس بقوة وكان صدره يعلو ويهبط.. حاولت أن تبعد عنها المشاعر التي بدأت تغزو تفكيرها.. لكنه أبقاها على حالها مانعاً إياها الهروب منه، وتحركت

رغبة هاجعة لم يكن مرغوباً فيها. قال بصوت مخنوق في كتفها:

ـ لا تقاوميني.. أرجوك.. حبيبتي لا تقاوميني.

قالت غالي بصراحة: «أكرهك.. بروس».

ـ إذن.. أطلبي إليّ أن أرحل.. فما زال العرض قائماً.

كوت حنجرتها كلمات الرفض ولكنها لم تستطع التفوه بها.

لامست يده ذراعها وصعدت حتى كتفها. فارتجفت غالي وأشاحت برأسها.. لكن راحة يده أمسكت خدها وأدارت رأسها بلطف.. ورأت بريق عينيه.. فهمست:

ـ لقد وعدتني..

ـ أعرف.

تأوهت وارتفعت يدها إلى كتفيه لتلامس شعره الناعم.

* * *

عندما استيقظت وجدت الجهة الأخرى من السرير فارغة.. جالت بصرها في الغرفة فقد تذكرت كل شيء فجأة وكم شعرت بالغضب.

في هذه اللحظة انفتح الباب ودخل بروس حاملاً صينية عليها عصير البرتقال والتوست.

قالت بحدّة: أمل أن تذهب.

صمت لحظة قبل أن ينظر إليها وقد اختفت ابتسامة الرضى عن وجهه:

ـ لماذا؟ هل تنتظرين أحداً؟

ـ لا.

وكان يجب أن تقول نعم.. لكن لا تضمن أن يذهب إن قالت نعم.

أعطاها كوباً من العصير.

ـ تفضلي فلعل هذا العصير يخفي غضبك.

تناولت الكوب: الخلاص منك له النتيجة ذاتها.

ـ لكنني أذكر أنك لم تطلبي مني الذهاب حين سألتك هذا..

أمسك بالسلسلتين ثم تركهما:

ـ سأشتري لك واحداً آخر.. لتذكريني دائماً.. كما كنا أول السهرة.

ـ توقف عن هذا.. ليلة أمس لم أكن نفسي.

التوت أصابعه حول السلسلتين فجأة بحيث اشتدتا حول عنقها، فحبست أنفاسها.

تمتم: حقاً؟ إذن من هي تلك السيدة التي استجابت لي؟

أحست بحلقها يجف، فرفعت كوب العصير إلى فمها، وأرجعت رأسها لترتشف شيئاً منه. رأته يراقبها.. مرّت نظراته على خطوط عنقها.

أخفضت الكأس الفارغة، فتناولها منها ثم قدم لها قطعة توست.. ولكنها هزت رأسها رافضة.

ـ أريد النهوض عن السرير الآن.

ـ ومن يمنعك؟

ـ اذهب من هنا.

ـ تأخر الوقت على هذا حبيبتي.. كان عليك أن تطلبي هذا في بداية الأمسية.

ـ ليتني فعلت!

ـ ولماذا لم تفعلي؟

ـ دناءة وسخافة.. لكنها الحقيقة.

ـ حقاً؟

أغضبته مرة أخرى، وأحست برضى غريب.. نظرت إليه بتحد:

ـ أجل! لو كنت بكامل وعيي لما سمحت لك بالدخول من الباب.

ـ إذن لولا تعبك..

ـ لم أكن متعبة إلى الحد الذي يؤثر فيه على حكمي.. هذا كل شيء.

ـ وكيف هو حكمك الآن يا خضراء العينين؟

عرفت أنه فخ.. نظرت إليه وهي تشعر بالخطر.

اقترب منها وكرر سؤاله: حسناً؟

ـ اذهب من هنا.

ارتفع صوتها غضباً عنها.

ـ ابتعد! لا أريد رؤيتك مرة أخرى

ضاقت عيناه اللتين اخترقتا عينيها.. وقال بصوت ناعم:

ـ أنت خائفة.. أتخافين ألا أصدق كلامك.. أم.. أن أصدقه؟

ـ لست خائفة.

ـ بل خائفة.

ـ لأجلك فقط.

قاطعها بصوت فظ: «لا تقولي هذا مرة أخرى»

أمسك كتفيها مع أنها حركت رأسها بذعر من جهة إلى أخرى في محاولة لتجنبه، استطاع أن يعانقها تحقق بعناقه هذا اعتراضها المتوتر. توقعت منه القوة، لكن بدلاً من هذا عانقها برقة حتى استرخت.

أمسك يديها يضم ذراعيها.. فتحرّكت حركة وقالت بصوت نصفه ونصفه الآخر بكاء:

ـ بروس!

ضحك قليلاً ورفع رأسه، فأغمضت عينيها تحاول جمع شتات نفسها.. ولكنها شعرت بيديه تحممان شعرها وترجعان رأسها إلى الخلف.. عند ئذ ذابت مقاومتها بفعل إغرائه المستمر.

ترك يديها وجلس: لا تقاوميني غالي.

أرادت أن تطيعه وكان هذا ما يريده قلبها ولكنها عضّت شفتها بجهد للسيطرة على نفسها:

ـ أنا لا أريدك!

ارتد إلى الوراء فجأة متجهم الوجه ونظر إليها مبتسماً ابتسامة ماكرة.

ابتعدت عنه ونهضت من السرير:

ـ قلت لك لا!

قال: أنت تمارسين بالتأكيد امتيازك كامرأة إلى أقصى الحدود.. لم

www.rewity.com
WWW.REWITY.COM

اعرف قط امرأة مثلك تغير رأيها بسرعة.

ـ لم أغير رأيي.. لا أريدك.. لماذا لا تقبل واقع أنك لست هبة من السماء؟

ـ لكنك لم تتذمري سابقاً بل على العكس.

ـ حسناً.. كنت غبية ورضخت للذكريات.. ولكن لا تتصور أن هذا يعطيك الحقوق عليّ.

ابتسم بقسوة:

ـ حسناً.. لن أتصور شيئاً.. والمبدأ مشترك.

هزت كتفيها: «لا مطالب لي عندك».

ـ صحيح.. سيبرد طعامك.

وقف ثم خرج بقفل الباب بضربة حادة.

أمضت غالي عدة دقائق أخرى تنتظر صوتاً آخر، صوت إقفال الباب الأمامي، صوت محرك سيارته.. لكن لم يحدث شيء.

أخيراً أطلقت نفساً كانت قد حبسته طويلاً وتوجهت إلى الحمام.

عندما خرجت منه، شعرت بأنها أفضل حالاً لكن ليس كثيراً.. وكان لديها فكرة تثير السقم.. وقبل أن ترتدي ثيابها، تفحصت المفكرة الصغيرة على طاولة السرير وعدّت الأيام في رأسها.

جففت شعرها بالمنشفة ثم مشطته، وارتدت بنطلون جينز وتيشيرت.

لم يدهشها أن ترى بروس في غرفة الجلوس لكنها احتقرت نفسها بسبب الراحة التي شعرت بها عندما رأت رأسه الأسود الشعر محنياً فوق أحد كتبها.

سألته غاضبة: هل تأخذ الأمور دائماً بهذه الخفة؟

نظر إليها بعدم فهم: «ماذا؟»

قالت بسخرية: أظنك معتاداً على علاقات عابرة مع النساء.. ولا بد أن هذا ملائم لك.

وضع الكتاب من يده ووقف، أما هي فكبحت رغبة تكاد تدفعها

[illegible] ـ ولكن عينيها لم تفارقا عينيه البتة.

ـ الواقع أنني غير معتاد على العلاقات العابرة.. وقد سبق أن وضحت لك هذا.. أم لعله شيء آخر لا تذكرينه؟

أسرعت بالإجابة بسبب التوتر والرغبة في الرد عليه:

ـ لا تتوقع مني أن أصدق هذا! فواثقة أنا أن نجمات هوليود يتساقطن فوق بعضهن بعضاً للوصول إلى فراش المخرج الكبير.. ولماذا تقاوم؟

توقف أمامها غاضباً منزعجاً، على وجهه ملامح الازدراء، وقال محتجاً:

ـ ألا تعرفين السبب؟ السبب هو أنني رجل متزوج!

* * *

٢ - إلى أين تهربين؟

قهقهت غالي فمدّ يده إليها بغضب:

- كفى.. توقفي عن هذا!!

لكنها راوغته.. وصاحت:

- أيها القذر.. ألم يرشحك أحد لمنصب المتعصب الذكري الأول لهذه السنة؟ فلا شك أن أكثر ما يناسبك عندما تتعلق بك فتاة مسكينة أن تقول لها إنك متزوج.

ابيضّ وجهه شحوباً:

- ألن تتوقفي عن الحديث عن علاقاتي الغرامية المزعومة؟ اعلمي أنه لم تكن هناك أية «فتاة مسكينة»! وأستطيع أن أضيف أنه لم يكن هناك لقص في الفرص.

- هذا ما أصدقه!

نظر إليها نظرة غريبة:

- أنت امرأة مشوبة الأفكار تملؤك المرارة.. لذا لن تصغي إلي أبداً. ماذا حصل لك غالي؟ كيف أصبحت هكذا؟

جعل الألم صوتها أجش ونظرت إليه بحدة ولكن لم يرف له جفن.

- سأعطيك ثلاثة احتمالات.

قال بهدوء: «وما الفائدة؟»

ارتدّ على كعبيه.. واتجه رأساً إلى الباب.. فتحه وخرج ثم أقفله.. بعد لحظات سمعت صوت محرك سيارته يدور.

ثم بعد.. واقنعت غالي نفسها أنها سعيدة لهذا وأن لا مستقبل لهما معاً.

لكن صعب عليها تجنب رؤيته.. فأسماء صانعي الأفلام أمر نادر في نيوزيلاندة.. أذاعت التلفزيون في الأسبوع التالي فوجدت أن هناك مقابلة معه ولكنها رغماً عنها شاهدتها وكم كانت مذهولة بوجهه الأسمر القوي، أسلوبه السهل وأجوبته المباشرة الذكية التي كان يرفقها أحياناً بشيء من المرح.

سأله المذيع: وما هي خططك للمستقبل؟

استقرت الكاميرا على وجه بروس.. فشعرت غالي أنه ينظر مباشرة إليها.. تردد.. ثم قال: «هذا وقف على عدة عوامل».

- مهنية أم شخصية؟

للمرة الأولى بدت عيناه باردتين وكأنه يرفض هذا السؤال المتطفل ولكنه ابتسم وهز كتفيه:

- تعلمت الكثير في أميركا.. ولكنني مدين بشيء لصناعة السينما في نيوزيلندة.. حيث بدأت.. وفي وقت ما.. أرغب أن أسدّد ديني.

- إذن.. قد تبقى هنا فترة؟

مرة أخرى نظرت عيناه بشكل مباشر إلى الكاميرا.. مالت غالي إلى الأمام وراحت تحدّق إليه منتظرة رده..

قال: «ربما».

حملت مجلة نهاية الأسبوع مقابلة على صفحة كاملة منها، عنوانها «صناعة السينما في نيوزيلندة قد تستفيد من الخبراء».. لم تقرأ المقال، ولكنها لم تستطع تجاهل صورته وهو في ثياب السهرة برفقة نجمة سينمائية في هوليود.

اتصل بها ناشر كتبها فجأة في أحد الأيام ليقول:

- لدي اقتراح لك.. هل لك أن تقابليني غداً للغداء؟

لم يسبق لتيغر هارفيلد أن دعاها إلى غداء عمل.. نعم كتبها معروفة،

ولكنها لم تكن تجني منها ما يجعلها قادرة على العيش من ريعها. وكان عملها كمشرفة على مكتبه يسمح لها بوقت فراغ بعد ظهر يوم واحد كل أسبوع.

قالت:

- أجل... إذا كان بالإمكان أن يكون الغداء في الواحدة.

عندما التقاها في ردهة المطعم، قال تيغر:

- اشربي شيئاً وأنت تنتظرين الآخرين.

- أي آخرين؟

اقتادها إلى مقعد وأشار إلى الساقي: ماذا تشربين؟

- آه! عصير الكرز... مع الصودا.

أعطى الطلب وجلس قربها، فسألت:

- من هم الآخرون؟

- شخصان ممن يصنعون السينما... يريدان التحدث إلينا.

- ممن يصنعون السينما؟

- هذا صحيح... الآن لا تعدي نفسك، فما إن يسمع المؤلفون باسم السينما حتى ترتسم إشارة الدولار على عيونهم، فما هذا إلا لقاء مبدئي... حتى ولو طلبا منا شيئاً مختاراً، فلا نضمن أن يقبلوا بما سنختار لهما.

قالت: «لم أرسم قط إشارة الدولار على عيني... لكن من هما...؟»

حمل الساقي إليهما طلبهما... فصمتت بانتظار أن ينتهي من دفع الفاتورة.

بعدما ابتعد الساقي تمتم: في الأيام الغابرة... لم يكن يتوقع أحد البقشيش في هذه البلاد.

شردت أنظاره إلى ما وراءها: «هاهما».

وقف.

لحقت بنظرته فطالعتها العينان الزرقاوان المقوّمتان، وسمعت تيغر

يقول:

- أعتقد أنك تعرفين بروس أشلي.

هزّت رأسها ببرود وردت: أجل.

ثم أدارت اهتمامها إلى مرافقه.

لم يسبق لغالي أن التقت امرأة ينطبق عليها وصف «ممشوقة القوام» مثلها... فستان متناسق من قماش أسود رقيق أبرز قداً نحيلاً جداً، وبشرة سمراء دافئة... وشعر أسود مصقول مشدود إلى الوراء بعيداً عن وجه بيضاوي مذهل الرقة... ذي عينين بنيتين كبيرتين.

- إنها ايسمي مادوا.

ناسبها هذا الاسم الغريب كلياً. وايسمي هذه منتجة إفلام قالت لغالي:

- قرأنا قصة «لا رابح» ونحن نعتقد أنها ستكون فيلماً رائعاً لذا نرغب في شراء الحقوق.

بدت الدهشة على تيغر ثم الرضى:

- خلتكما ستطلبان خياراً في البداية.

- هذا صحيح، لكن ما إن نتخطى هذه المرحلة حتى نفتش عن تمويل لشراء الحقوق... وسيكون آشلي المخرج، وباسمه سنتمكن من الحصول على التمويل اللازم.

نظر تيغر إلى غالي: «حسناً؟ غالي ما قولك؟»

- لم أفكر قط في تحويل هذه القصة إلى فيلم سينمائي...

نظرت إلى بروس، لكنه كان يتلاعب بكأس العصير أمامه وكأنه يُبعد نفسه عن النقاش.

ترك لايسمي خلال فترة الغداء معظم الكلام. وكان يعطيها من وقت إلى آخر إشارة قبول عندما كانت تطلب منه ذلك... ولكن تصرفه الذي يدل على السأم أغاظ غالي التي راحت تنظر إليه خلسة، فبدا أنه يراقب ايسمي مرة أو مرتين ظهرت على فمه ابتسامة تساهل للمنتجة.

ـ زمن القصة رائع: سنوات ١٩١٤ ـ ١٨ رائعة الأزياء، تستطيع أن تلبس البطلة فستاناً واسعاً من الداتيل التي كانت النساء ترتديها، وقبعات كبيرة! آه! يجب أن ترتدي قبعة واسعة الأطراف لبعض المشاهد. ألا تظن هذا بروس؟

ـ إنه تكرار ممل.. أليس كذلك؟ لا أدري كم مرة صوّر مثل هذا المشهد.. شخصان سائران قرب النهر تحت أشعة الشمس، والمرأة ترتدي إحدى القبعات الواسعة.

ـ لكن هذا ما كن يعتمرنه.. لا شك أننا سنجد طريقة لتجنب التكرار بروس.

التفتت إلى غالي تسأل:

ـ ما الذي جعلك تختارين هذه الحقبة من الزمن؟

ـ طالما اهتممت بهذه الحقبة.. لقد حارب جدي في الحرب العالمية الأولى، ونال ميدالية لشجاعته، لكنه لم يتكلم عن هذا قط، أما جدتي فما أكثر ما حدثتني عن هذه الفترة التي كانت فترة تغيير وضغط.. لقد تغير العالم كله بومذاك.. من الأناقة الأدواردية والعادات الفيكتورية إلى القرن العشرين.. بداية عالم جديد مختلف كلياً فيه شيء من الإحباط المتوتر والعزلة.

قال [illegible]:

ـ قال أحد النقاد إن في القصة نوعاً من الرمزية.. ما بين فترة الحرب وما أشار إليه من دمار.. وما بين ازدياد المسافة بين الشخصيتين: الفراق الجسدي والهوة العاطفية التي بلغت تتسع بينهما حتى تحولت علاقتهما إلى كراهية وعنف.

قالت غالي: «أنا لا أعتمد الرمزية في كتاباتي».

صاحت أيسمي:

ـ آه! لكنه على حق؟ هذا موجود، وهنا تكمن قوة الكتاب!

ابتسمت غالي إذن.. عقلي الباطني كان يعمل.. عرفت أن هذا

صائب.. هذا كل شيء.. ها أنتم تبعثون في القلق وأتساءل إن كان في الكتاب ما لم أفهمه حتى الآن.

قالت أيسمي ضاحكة:

ـ إنه كتاب جيد.. وأنا آسفة فقط لأنني لم أقرأه قبل الآن.. أذكر أنني قرأت عنه نقداً، وفكرت أن أشتري منه نسخة، ولكنني لم أحصل على هذه النسخة حتى الآن.. أستطيع الحصول على الردود منك مباشرة.. هل زنت الزوجة أم لا؟

أحست غالي بعيني بروس عليها.. ولكن عندما التفتت إليه أشاح بصره عنها.

قالت: «لا أدري..».

ضحكت أيسمي بعدم تصديق: «ألا تعرفين؟».

ـ صدقاً لا أعرف.. كان زوجها مقتنعاً أنها زنت.. وهذا من العناصر المهمة في القصة.

ـ أجل.. لكنك لم توضحي ما إذا كان على صواب.

ـ لم يبدُ لي الأمر مهماً.. في تلك المرحلة من الكتابة، لم أستطع سوى رؤية الأمور من وجهة نظر الزوج.. لذا أنا آسفة لأنني لا أستطيع الرد.. والنقطة غير واضحة لي أيضاً.. هل تريدين تغييرها في الفيلم؟

ـ هذا وقف على كاتب السيناريو والمخرج.. بروس؟

قال بروس دون أن ينظر إلى غالي:

ـ لا أرى ما يدعو إلى تغيير شيء في قصة جيدة.. عندما قرأتها، تعاطفت مع الزوج.. فلو كانت بريئة لوضعت حداً لبؤسه.

ضحكت أيسمي:

ـ آه، أنت رجل.. وستقف إلى جانبه.. عندما قرأت القصة هل فكرت أنها بريئة؟

ـ أجل.. أظنها كانت بريئة.

ـ حسناً.. هل نتركه يخسر، أم نتركه على رسله.. ما هو رأيك

غالي؟

ـ لا أعرف بماذا أفكر.. شاهدت بضعة تحويرات رهيبة للكتب في الأفلام.

أدارت ايسمي عينيها الرائعتين:

ـ أولم نرى هذا كلنا! لا يمكن للفيلم أن يتبع دائماً السرد القصصي بإخلاص.. فالسينما وسط مختلف. لكننا لا نريد تشويه هذا الكتاب.. إذا أحببت حاولي كتابة السيناريو بنفسك.

ـ ليس لي خبرة بكتابة السيناريو.

ـ لكن ليس هناك ما يمنعك من المحاولة، إنما لا نعد أن نستخدمه.. وإن استخدمناه فقد يغير فيه مدير السيناريو أو المخرج.. التصوير السينمائي يتطلب جهداً مشتركاً، وليس كالكتابة.. وسندفع لك مقابل الوقت الذي ستقضيه في كتابته.

قال تيغر: لماذا لا تجربين؟

ـ أنا غير واثقة من قدرتي على ذلك.

سارت الأمور بسرعة بالنسبة لها. فتيغر أشار إلى أن هذا الاجتماع تمهيدي، ولكنهم يتكلمون وكأن الفيلم أمر واقع.

وجّه بروس للمرة الأولى حديثه إلى غالي:

ـ أتريدين شخصاً آخر يكتب السيناريو لكتابك؟

ـ قد يكون هذا أفضل.

ـ أنت لا تظنين هذا حقاً.

سألته برقة: وهل أنت قارىء أفكار؟ أليس هناك نهاية لمواهبك؟

ران صمت قصير، نظر خلالها تيغر وأيسمي إليها بدهشة.

قال بروس وهو ينظر إلى عينيها بشكل مباشر: «يجب أن تعرفي هذا».

منعتها أخلاقها الحميدة من رد لاذع، وبدأ الآخران يتحادثان عن بعض الشروط، في هذا الوقت أخفض بروس نظره إلى يديها المضمومتين

ثم رفع بصره إلى وجهها وكونت شفتاه بصمت كلمة «جبانة».

ارتدت أيسمي إليها ثانية:

ـ سيتم تصوير معظم مشاهد الفيلم في المواقع ذاتها. يعتقد بروس أن وصفك يتناسب مع بلدة «تايمز».. ولكنك أعطيتها اسماً وهمياً.

ـ قد تنفع للتصوير أية بلدة صغيرة ذات تاريخ له علاقة بمناجم الذهب.. لكنني أعرف «تايمز» فقد ترعرعت فيها في مزرعة والدي.. ومن الطبيعي أن أصفها في قصتي.

سأل بروس: «أما زالا هناك؟».

ترددت بدهشة، ثم أجابت:

ـ أجل.. يتحدث أبي عن التقاعد من العمل قريباً. وسيعود للسكن في البلدة.. لكنهما ما زالا في المزرعة.

هز بروس رأسه وقال لأيسمي:

ـ يجب أن تلقي نظرة على المنطقة.

ـ أجل.. قد تكون مكاناً صالحاً للتصوير.. على بعد ساعتين، من أوكلاند فيها شواطىء تصعد بدءاً من شبه جزيرة «كورومانديل» وصولاً إلى البلدة. ألا يمكن أن نستخدم هذا لالتقاط بضع لقطات للفيلم بروس؟

داعبها بروس وهو يرفع حاجبيه:

ـ أما زلت تبحثين عن لقطات مبتذلة أيسمي؟

أنكرت أيسمي:

ـ أنا لا أفعل هذا..! لكن يقال، إذا كانت لديك فاستخدمها.. إن تصوير هذه المناظر في نيوزيلندة ستزيد من شعبية الفيلم، لذا من الأفضل استخدامها بكل ما تستحقه.. انظر ماذا فعل الاستراليون بصحرائهم الحمراء والصفراء.. لأدغالنا وشواطئنا إمكانيات مماثلة.

أكد بروس لها: «حسناً، أوافقك الرأي ولكن علينا في بعض الأحيان تعديل المناظر لمصلحة القصة.. قد تعجب المناظر جمهور السينما، لكنهم يريدون رؤية القصة، لذا علينا ألا ننسى هذا.. أما بالنسبة للأدغال

والشواطىء. فهي جميلة وقد تحظى فيها بلقطات رائعة، غير أني أذكر أن في بلدة تايمز مبان قديمة تثير الاهتمام، وستطيع أيضاً تصوير مناجم الذهب القديمة.

لا تستغرب أن يكون بارعاً في عمله.. إنه أحد المبدعين الذين يرتفع عملهم دائماً عن مستوى الآخرين، لأنه قادر على رؤية الأمور من زاوية مختلفة.

بعد الغداء انتهى الأمر بغالي أن يقلّها بروس إلى البيت.. حاولت الرفض ولكن تيغر تدخل وقبل بذلك نيابة عنها ولعل ما أزعجها أكثر أن أيسمي غادرت مستخدمة سيارتها الحمراء.

سألته: «أنت لا تريد حقاً صنع هذا الفيلم، أليس كذلك؟»

ـ مخطئة.. أعجبني كتابك، وأريد أن أصوره فيلماً.. الواقع أنني من أرثيه لأيسمي.

ـ لماذا؟

ـ قلت لك.. أعجبني. كنت أبحث عن مشروع مثير للاهتمام لأبقى هنا.. على الأقل لفترة قصيرة. اشتريت نسخة من كتابك بدافع الفضول بعدما رأيته في شقتك.. وبدا صالحاً لفيلم.. ففيه مشاهد آسرة هذا عدا القصة المحبوكة بقوة.. وقد وافقني أيسمي الرأي.

ـ ولماذا تريد البقاء في نيوزيلندة؟ فلديك ما وراء البحار ما هو أكثر بكثير مما لديك هنا.

ـ لدي عمل غير منتهٍ هنا.. ولا تقولي إنك لا تعرفين ما هو.

نظرت إليه بسرعة ثم نظرت بعيداً:

ـ لا علاقة لي بما تفعله.. إلا إذا.. كنت تريد الطلاق.

أحست بنظره يتسلط عليها ولكن ذلك لم يدم إلا ثانية واحدة فقط.. ثم عاد ليركز على قيادة السيارة.

ـ وهل يهمك هذا؟

أحست بثقل في خفقات قلبها فجأة، فشدت قبضتها على الحقيبة التي

تحملها وقالت:

ـ لا أهتم حقاً.. بأي طريقة كانت.

قال: «وهل سيخيب أملك؟»

ارتدت إليه بسرعة: «بالتأكيد لا».

نظر إليها وعلى وجهه تعبير لم تفهم ما هو كنهه:

ـ أما أنا فسيخيب أملي.

سحبت نفساً عميقاً:

ـ ماذا تعني بحق الله؟

ـ ما قلته، كنت أحب لو أن لي ولد مثلك.

لم تكن قادرة على الكلام.. شعرت برغبة كبيرة في الصراخ وفي تكسير أي شيء.. ولكنها تمكنت من الحد من غضبها بالقول ببرود:

ـ في مثل هذه الظروف، هذا أمر ليس سخيفاً فقط بل هو مقرف.

اشتد فمه ولم ينظر إليها مرة أخرى:

ـ جدي كلمة أخرى غالي.

ـ لماذا؟ لتشعر بأنك أفضل حالاً..

صاح بها عقلها «لا».. فصرت على أسنانها بقوة لتسكت لسانها.

ـ إذا كنت تشيرين إلى زواجنا، فأنا أشعر بأنه أمر جيد في الواقع.

اضطرت إلى كبح الرد الذي كادت تهم به.

قالت بحدة:

ـ مسرورة أنا لأن أحدنا يرى أن زواجنا شيء جيد.. فأنا لا أشعر بهذا.. بل أشعر بالقذارة والخزي.

قال بوحشية مفاجئة:

ـ ليس لديك أي إحساس بالحماية الذاتية.. أليس كذلك؟

عندما توقف أمام منزلها قالت بأدب بارد:

ـ شكراً لك لأني أقلّتني.

ـ اطلبي مني الدخول.

WWW.REWITY.COM

- لا شك أنك مجنون . . كيف أدعوك بعدما بدر منك آخر مرة . . ؟

قال من بين أسنانه : «لكن ما بدر مني أعجبك بمقدار ما أعجبني» .

- قلت لك . .

- آه! كنت متعبة ، ولم تعرفي ما تفعلين . .

- لماذا تريد الدخول الآن؟ ليس بيننا ما نتكلم عنه . .

- الفيلم . . أريد أن نناقش أمر الفيلم .

- لا تسخر مني .

بدا وكأنه يتماسك :

- لم أكن أسخر منك . . أنا أتقرب عادة من الكاتب وهذا أمر لا بد منه معك بسبب التعديل الذي يحتاجه الكتاب .

نظرت إليه بحيرة :

- هل تريد حقاً أن تحول كتابي إلى فيلم سينمائي ، أم أن هذا . .

- عذر؟ لكري ملياً غالي . . أنا قادر على ابتداع عذر أقل كلفة من هذا لأراك .

هزت رأسها: لم يكن هذا ما عنيت .

- وماذا عنيت؟

- لا يهم . . أدخل . . إذا كان لديك ما تقوله حقاً .

رفض بروس القهوة ، ولم يبدُ أنه يريد الجلوس . دس يديه في جيبيه وأخذ يذرع الغرفة وهو يتكلم

- من الطبيعي لكاتب أن يكون متوتراً . . خاصة في ضوء ما جرى لبعض الكتب الجيدة فيما مضى . . لكن لديك الفرصة لكتابة السيناريو بنفسك . . وكما قلت ، أحب العمل مع الكاتب . . فلست من أنصار فكرة الكاتب - المخرج . . وكما قالت أيسمي اليوم ، العمل السينمائي عمل فريق .

- وهل سأتمكن من حضور التصوير؟

- هذا ما أتمناه . . فالكاتب هو الذي يعرف الشخصيات قلباً وقالباً ،

وأعرف أن هذا يساعد الممثلين أيضاً . . لأنهم قادرون على اللجوء إلى من ابتدع الشخصية التي يلعبونها ليسألوه : كيف يعيش هذا الشخص؟ وماذا يفترض بي أن أفعل هنا؟

- أليس لديك مانع؟

- لا . . بل أحب أن أشارك في مثل هذا النقاش . . ستجدين أنه أمر مختلف عن العمل بمفردك مع آلة الكتابة . . هل شاهدت أياً من أفلامي؟

- ليس التي أخرجتها في أميركا . . فأنا لا أشاهد الأفلام كثيراً .

لم تكن تنظر إليه ، نظر إلى رأسها المنحني مفكراً للحظات :

- عملت حقاً مع أشخاص بارعين . . أنا وأيسمي تكلمنا سلفاً عمن نود أن يكونوا أبطال هذا الفيلم ، وحددنا المصورين ومصممي الأزياء ، وكلهم من هنا . . إنها قصة نيوزيلندية ، ونريد أن ننفذها بمساعدة أهلنا . . وأعتقد أن العالم على استعداد لنا .

- ولكن قصتي ليست أفضل قصة في نيوزيلندة . فهي لم تنتشر خارج نيوزيلندة . . ولم يسمع بها أحد .

- لا يهم . . إن عدداً من الأفلام العظيمة كانت قصصها غير معروفة . . الأوستراليون متقدمون علينا في هذا المجال . . فلنقم به غالي . . ألا يثيرك هذا؟

أثارها حماس بروس المسيطر عليه ، لكنها حاولت كبح مشاعرها :

- لا أدري إن كنت سأجد الوقت لكتابة السيناريو ، لدي وظيفة . . وأنا أعمل على كتاب آخر .

جلس بروس فوق الأريكة قبالتها :

- ألا ترغبين في ترك العمل مقابل تخصيص وقتك الكامل للقصة؟ . . ستجنين من هذا العمل ما يخولك ترك أي عمل لمدة ثلاثة أشهر ، وأظنك ستقدرين على إعالة نفسك حتى تنهي قصتك الجديدة . فكري في الأمر .

دنا من النافذة ولكنه ما لبث أن ارتد إليها ويداه في جيبيه :

- كتبت قصة جيدة تصلح لفيلم ، وما يجب أن تتذكريه هو أن الفيلم

نسخة مرئية بالكامل . فكري في الصورة . . سلسلة من الصور ستقدمينها إلى المشاهد .

ذكرته قائلة :

ـ يدور معظم ما في الكتاب عما كانت تفكر فيه الشخصيات .

ـ نستطيع التعبير عن هذا من خلال تصرفاتهم ومن خلال مواقفهم أو من خلال الموسيقى .

كان يتكلم بسرعة وبطريقة عفوية . . ولكنها شعرت بأن تفكيره لم يكن منصباً كله على ما يقول . . وقد أكّد لها ذلك ملاحظته :

ـ كم استغرقك من وقت لنشر الكتاب؟

ـ سنة أو أكثر قليلاً . . لماذا؟

نظر إليها نظرة غريبة :

ـ وستمضي سنة تقريباً قبل أن ينتهي الفيلم . وكم استغرقتك كتابته؟

ـ حوالي عشرة أو أحد عشر شهراً .

ـ وهل مؤسسة تيغر هي المؤسسة الأولى التي عرضته عليها؟

ـ لا . . بل الثالثة . . ما شأن هذا . .

ـ بتحويله إلى سيناريو؟ إنه مجرد فضول . . لا شك أنك بدأت الكتابة منذ سنوات . . أستطيع أن أعطيك لائحة بأفضل السيناريوهات إن شئت . . قد تجدين في المكتبة منها على شكل كتاب و . . هل لديك جهاز فيديو؟

ـ لا . . إنما أستطيع استئجار جهاز .

ـ هناك أفلام جيدة على شرائط الفيديو . . لماذا لا تأتين إلى منزلي لرؤية مجموعتي الكلاسيكية .

ترددت ، فقال بصوت فظ :

ـ ليست دعوة مغشوشة . . بل هي عرض حقيقي .

تورد وجهها : أعرف هذا . . أنت الآن . . في غاية اللطف .

ـ اعملي معي معروفاً غالي . . لا تعامليني كغريب .

نظرت إلى يديها .

ـ أشعر . . أنك . . هكذا

قال بصوت أجش : كيف يمكنك قول هذا؟

ترك مكانه عند النافذة . . لكنه توقف في وسط الغرفة .

وذكرته : «قلت إننا سنتكلم عن الفيلم» .

ارتدّ عائداً إلى النافذة :

ـ أجل . . إنها قصة حساسة . . فقد تمكنت من التوغل في روح زواج محطم ، بعد بداية مثالية .

ـ لا أعتقد أنها فكرة جديدة .

ـ ليست هناك أفكار جديدة بل هناك طرق جديدة للتعبير عنها . .

اقترب منها مرة أخرى :

ـ فمن المثير للاهتمام أن تروي القصة من وجهة نظر الرجل فقط .

أوقفته نظرتها السريعة إليه في مكانه :

ـ إنها محض خيال .

التوى فمه : «تساءلت كثيراً لماذا اخترت هذه الصيغة» .

هزت كتفيها : «إنه التحدي»

ران صمت تخفق له القلوب . . لم تكن تنظر إليه . . ولكنها أحست بعينيه عليها .

قال ببطء :

ـ يقال إن أول قصة يؤلفها كاتب هي وصف لحياته .

رفعت بصرها إليه فبان العداء على وجهها :

ـ هذه القصة بعيدة عن حياتي !

ـ هل أنت واثقة؟ لا أعتقد أن المؤلفين يعرفون كم يعطون لكتبهم من أنفسهم عن غير قصد منهم

جلست مسمرة : كما قلت وقت الغداء . . يميل الناس إلى تفسير أمور كثيرة في الكتب ، أشياء غير موجودة فيها .

ـ لكنني واثق أنك ستعترفين أن هناك أشياء متوارية .

ـ إنها أشياء عامة.. لقد قلت للتو أن لا أفكار جديدة.. وعلى كل كتاب أن يعكس حياة شخص ما.

ـ وهناك بعض الانعكاسات أكثر صدقاً عن الحياة من البعض الآخر.

سألت بصوت حاد:

ـ هل نناقش موضوعاً في الفن والأدب؟ أم في الحياة؟

رد بشيء من السخرية:

ـ نحن لا نناقش شيئاً.. أنا أحاول المناقشة.. لكنك تتملصين من الأجوبة.

وقفت تقول:

ـ إذا كنا قد أنهينا الكلام حول إمكانيات الفيلم.. ربما تود أن تذهب.

كان ينظر إليها بتعبير إحباط غاضب.. عيناه ضيقتان، وفمه مشدود.

قال:

ـ لن تستطيعي الهرب إلى الأبد.. كوني عنيدة كما تشائين.. لكن، في يوم ما، سوف تحشرين نفسك في الزاوية.. وهناك لن يكون لك أمل بالخلاص

* * *

عندما أعادت غالي القميص لدراك سألته ولو على مضض نصيحته فيما يتعلق بكتابة السيناريو، فقد سبق له أن كتب سيناريوهات للتلفزيون والسينما النيوزيلندية.. فلما أخبرته بسبب طرحها هذا السؤال اغتبط وأعارها بضعة كتب وجدها هو مفيدة له.. بدأت تتصفحها فغرقت في النظريات والصعوبات التي تواجه المرء عند البدء بحرفة جديدة. لم تطفئ جهاز التلفزيون حتى أخذت فكرة شاملة عن كتابة السيناريو ووجدت أنها ستبرع في هذا.. لذا حين اتصل بها نيغر، قالت له:

ـ سأمنحهم الحقوق.. فأنا أريد كتابة السيناريو.

عملت بنصيحة دراك، فقررت القيام بتحليل المواقف أولاً: قسمت القصة إلى مشاهد، ثم أضافت الحوار والحركات المميزة.

ما إن أعادت قراءة القصة حتى تذكرت كلام بروس عن الكاتب وما يكشف من سيرته الذاتية في مؤلفاته.. عندها رأت بوضوح الأمور المتوارية عن حياتها التي لم تظهر لها عندما كتبت القصة. الخلفية التاريخية أخفت تلك المتواريات لكنها الآن رأت بقلق أن عقلها الباطني كان يبرز الأحداث بطريقة لم تكن تدركها، ووجدت أن حادثة أو حادثتين هما أحداث فعلية. وفيما كانت تقرأ شعرت بالحرج لأن مسار أفكارها يعكس بكل وضوح مشاعرها الخاصة في ظروف مشابهة.

اتصل بها بروس قائلاً:

ـ قالت لي أيسمي إن لدينا خياراً.. ستطلق العجلة للحصول على التمويل وشراء الحقوق.. وأعتقد أنك بدأت بالسيناريو.. فهل سترين أفلام الفيديو التي حدثتك عنها؟

ـ أجل.. متى أستطيع رؤيتها؟

ـ الليلة إذا شئت، سأقدم لك العشاء أولاً.

ـ هذا غير ضروري.

ـ غالي.. فلنقم بيننا جواً من الود والتعاون.. هل آتي لاصطحابك؟

ـ لا.. سأذهب بمفردي.. أذكر لي العنوان.

لقد استأجر منزلاً قديماً مريحاً فيه غرف كبيرة، وكانت غرفة الطعام رسمية أعدت فيها مائدة لشخصين.

قال: «سنأكل الفريدس مع الأفوكادو، وبعد ذلك سنتناول السلطة والدجاج والجبنة».

ـ هذا رائع

فالما أحبت ثمار البحر والسمك ولكنها لا تحب اللحم الأحمر أو الحلوى كثيراً.

ـ جين؟

أخذت بعض الجبن والبسكويت . . ورفعت نظرها فرأته يراقبها. قالت بطريقة لا إرادية: «ليتك لا تفعل هذا».

- أفعل ماذا؟

- تنظر إليّ هكذا.

- كيف . . هكذا؟!

نظرت إليه بسخط:

- وكأنني أحجية تحاول حلها . . إن هذا أمر مثير للأعصاب.

- لماذا . . أيعذبك ضميرك؟

دفعت طبقها بعيداً . . فتابع: لم تأكلي الجبنة.

- لم أعد جائعة . . شكراً لك.

- لا تتصرفي معي بهذا التهذيب يا غالي.

- سأحمل الصحون إلى المطبخ.

وبدأت بجمع الصحون بيدين غير ثابتتين. لحق بها إلى المطبخ ووقف بالباب خلفها:

- لا تزعجي نفسك بغسلها، سأفعل هذا في الصباح.

- حسناً.

ارتدت عندما كان يخطو إلى الأمام ليضع كوب الماء على رف المغسلة، وكادا يصطدما . . عندئذ وضع أصابعه على كتفها ليتمسك . . وقع الكوب عن الرف فتدحرج ووقع في المغسلة . . وكان وجهه قريباً جداً منها.

قال: «حسناً . .».

انسحبت غالي عنه وارتدت نحو الرف لتتمسك بطرفه . . فتركت أصابعه كتفها لكنه ظلّ قريباً، وأعاد السؤال: حسناً؟

هزت رأسها نفياً، فضحك.

- إلى متى تظنين أنك قادرة على الصمود؟ ردات فعلك غير متوقعة . . أعترف بهذا . . إنما لا مجال للغلط فيها.

لم تحاول الإنكار:

- في الحياة أمور أهم بكثير من المعاشرة الزوجية.

- وأنت كاتبة سيناريو ملهمة! حاولي إيجاد عذر مبتكر أكثر من هذا . .

- أجل . . سأبتكر.

وكان هذا كل ما استطاعت قوله . . فسخريته مهلكة، ولكنها أفضل من تقاربهما المدمر.

قال: أتركي طرف الرف فلن أقفز عليك! هيا . . تعالي . . من الأفضل أن نشاهد بعضاً من أفلام الڤيديو . . جئت لهذا السبب.

جلست على أريكة كانت موضوعة مقابل جهاز التلفزيون أما بروس فجلس على الأرض فوق كومة وسائد وجهاز التحكم بيده. راح يقدم الفيلم أو يعيده لمشاهدة مقطع يريد منها أن تلاحظه . كانت تظن أحياناً أنه نسي وجودها، فعيناه ثابتتان على الفيلم وعقله مستغرق بالتفكير، ولكنه كان يعود ليقول: راقبي هذا المقطع جيداً . . أو انظري كيف أن المقطع بين المشهدين يكمل الحوار، أو هل لاحظت كيف تم إخراج هذا؟ لم يكن هناك حاجة للحوار . . فكل شيء ظاهر للعيان.

عند منتصف الليل، أطفأ الجهاز.

- يكفي هذا الليلة.

- أجل . . شكراً للعشاء وللأفلام.

- سأعدّ القهوة، ثم أقلك إلى منزلك.

- لا داعي لهذا . . استدع سيارة أجرة . . أرجوك.

- لا تجادلي! لماذا لا تشترين سيارة لنفسك؟

سؤال طالما طرحته على نفسها.

- لا أستطيع إزعاج نفسي بالزحام أو بمسألة إيقاف السيارة أو الوقود، والتصليح. أستحسن الباص والتاكسيات عليها، وربما ليست مكلفة كثيراً على المدى الطويل.

تقبل التفسير بلا تعليق قائلاً: «القهوة قادمة».

عندما عاد حاملاً كوبين يتصاعد منهما البخار، رأت أنه أضاف الحليب إلى كوبها.

قال: «للأسف ليس لدي نعنع».

ـ لا بأس في هذا.

ـ هذا صحيح، فأنت لا تحبينه.

لم ترد، بل أحنت رأسها لترتشف القهوة، وجلس عند قدميها يستند إلى مقعدها.. قائلاً:

ـ إنها جلسة حميمة.. تعيد الذكريات.

لم ترد مجدداً.. فارتد ينظر إليها:

ـ إنه دورك لتقولي «أية ذكريات؟» أم لعلك عرفت؟

وضعت قهوتها.. لم تحتسها كله ووقفت:

ـ سأستدعي سيارة الأجرة بنفسي.

لكنه وقف أيضاً، تاركاً كوبه على الأرض قرب المقعد.. وسد عليها الطريق بوضعه يده على ذراعها:

ـ لا داعي لتخوف مني.. دعك من هذا حبيبتي.. دعك من هذا.

كاد الحنان في صوته يدمر مقاومتها.. وعندما ترنحت قليلاً نحوه سمعته يسحب أنفاساً سريعة.. فجأة، تمالكت نفسها.. ولكن يده الأخرى أمسكت كتفها ومنعتها من التراجع.

ارتفع رأسها والتقت عيونهما:

ـ ولماذا أفعل؟ ليتحطم قلبي مرة أخرى؟ لمجرد إرضاء غرورك الذكري؟ ولتبرهن لنفسك أنك رجل لا يُقاوم؟

ـ هذا كلام غير منصف!

حاول شدها إليه، ولكنها قاومته بقوة وأبعدت يديه عنها.. ثم قالت بهزء:

ـ ذكريات! أجل.. أنا قادرة على استعادة ذكرياتنا.. ذكريات رجل

وعدني بالسعادة مدعيا أنه يحبني.. وأنه سيرعاني طوال حياتي.. وسيبقى إلى جانبي عندما أحتاج إليه.

ـ غالي..

ـ لدي ذكريات أخرى..

ذكريات الألم والخوف والحاجة إليه.. ذكريات ندائي باسمه في الظلام عندما كنت بأمس الحاجة إليه.

رفرفت عينيها لتحبس الدموع ولمدت على أسنانها قائلة:

ـ دعني وشأني.. ألا يمكنك هذا؟ لماذا تريد نبش أمور أفضل نسيانها؟ أي نوع من «السادية» تتملكك؟.. اذهب والعب العابك القذرة مع شخص آخر!

بدا شاحباً، عابساً، مرتجف الصوت: غالي.. غالي.. أنا آسف

ـ أجل.. واثقة أنك آسف.. ولكنك لم تكن تقصد أن تثير هذا الوجه من المسألة.. أليس كذلك؟

ـ إن قلت لا.. فهذا لا يعني..

ـ إنك أردت مني أن أتذكر الأشياء اللطيفة، أليس كذلك؟ أشياء عاطفية تثير الغثيان.. أوه.. أتذكرها جيداً.. علاقة غرامية وسط حقل مليء بالزهور.. العشاء على ضوء الشموع في شقة جديدة خالية إلا من أريكة وسرير.. والرقص طوال الليل في مقهى قرب الشاطىء والسير على الرمال في الفجر.. أتذكر كل هذا، وأتذكر يوم سبت ممطر كنا نصغي فيه إلى الراديو ونأكل الفستق.. أتذكر كل شيء.. لكن لسوء الحظ أن هذه الذكريات كلها لا تلغي ذكريات كثيرة أخرى!

هزت رأسها وحاربت الدموع بأسنان مشدودة.

قال بهدوء: «لا أعتقد أنها قادرة على هذا.. لكن امنحيني فرصة.. فرصة لخلق ذكريات جديدة لك، ذكريات كثيرة.. ستطغى على الذكريات الأولى».

ظهرت الدهشة على وجهها:

ـ أهذا ما تريد.. هل هذا ما تريد حقاً؟

عبس: وماذا كنت تظنين؟ أنت من تحدثت عن ليلة حب عابرة وعن الحب الذي لا معنى له.. وأنا أردت أكثر من هذا.. لست وحدك المجروحة والمحبطة.. فسنواتنا الأخيرة لم تكن فراشاً من ورود بالنسبة لي.. لكن لا فائدة من العيش في الماضي.. فالمستقبل هو المهم.

كان صوته هادئاً لكن عميقاً:

ـ أعد أن أحوّل حياتك، غالي.

قالت بقسوة: قد يتمكن شخص آخر من هذا.. أما أنت فلا، بروس.. أنت آخر من قد يفعل هذا لي.

قال ببطء: «وقد أكون الوحيد القادر على ذلك».

نظرت إليه ساخرة: «وكيف ستفعل هذا؟»

ـ لا شك أنه كان لديك مرشحون آخرون؟ ألم يوافق أحدهم المقاسات؟

ـ لم أكن أقيس.

برق الغضب في عينيه:

ـ بل كنت تقيسين.. كنت تقارنهم جميعاً بالرجل الأسطوري الذي لا يعيش إلا في عقلك وتفكيرك... وفشل الجميع.. كما فشلت أنا.. لماذا لا تنضجين غالي؟ فلا وجود للرجل الكامل.. نحن جميعاً خطاؤون.. كلنا نخطىء وأحياناً تكون أغلاطنا فادحة.. أنا آسف.. آسف كثيراً لأنك جرحت.. لكن ألا ترين أنك تجرحين نفسك أكثر فأكثر؟ فالمرارة التي تشعرين بها في أعماقك تلوي مشاعرك.. وتجفف روحك!

قالت ببرود: «عندما أحتاج إلى محلل نفسي.. أذهب إلى أخصائي، شكراً لك.. هل أنتهيت؟»

حاولت أن ترتدّ عنه لكن يده أطبقت على ذراعها بقسوة.

ـ ماذا عليّ أن أفعل لأدفعك إلى الإصغاء؟

ثم تغيرت نبرة صوته، وأصبحت تعبيرات وجهه باردة:

ـ أتعرفين.. قرأت كتابك الثاني.. وهو ليس بجودة الأول.. أتعرفين لماذا؟ لأنك فقدت شيئاً من الإحساس والمشاركة مع الشخصيات التي حملها الكتاب الأول.. آه! اللغة هي في الطليعة والحوار رائع. ولقد تحسنت تقنيتك.. لكن هناك ما هو ناقص.. لم يكن فيه (قلب).. وأراهن أن الكتاب الثاني معقول أكثر وتقني أكثر.. لكنه فارغ المضمون.

شدت يدها لتتخلص من قبضته وابتعدت عنه

ـ حسناً.. الآن بعدما عرفت الفرق بين شخصيتي وكتابتي.. هل تسمح لي بالعودة إلى منزلي.

برقت عيناه فجأة كالنار:

ـ ثمة طريقة وحيدة للوصول إليك.. أليس كذلك؟

تشنجت غالي وجمدت في مكانها، فضحك ضحكة قصيرة.

ـ لا تقلقي.. لن يدوم هذا.. ستتراجعين عن الواقع بسرعة في الصباح.. أعرف هذا. وستبذلين جهدك لتضربيني لأنني اخترقت حواجزك ولو مؤقتاً.. هيا بنا قبل أن يصبح الإغراء قوياً عليّ.. سأصحبك إلى المنزل.

* * *

www.rewity.com
WWW.REWITY.COM

٣ ـ أصدقاء فقط!

قذمت غالي استقالتها من المكتبة.. وراحت تركز اهتمامها على كتابة السيناريو.. لقد وقعت العقد معطية لشركة الأفلام الحقوق، ورتبت أيسمي دفعة مقدمة من حساب السيناريو لتتكن غالي من إعالة نفسها في الفترة التي تعمل فيها على الكتابة.

في الوقت الحاضر صبّت تفكيرها على مؤلفها الجديد.. وحاولت أن تدفع أفكارها عن رأي بروس الساخر.. كانت قد كتبت عدة أقاصيص قصيرة إضافة إلى القصتين، بعضها نشر في المجلات. واختيرت أقصوصة منها للتحليل الأدبي، ولكن لم يقل أحد أن أسلوبها معقول لا عمق فيها.

اتصل دراك بها: سمعت أنك أصبحت كاتبة سيناريو لوقت كامل، كيف تسير الأمور معك؟

ـ ببطء.. يبدو أنني عالقة بعد المشهد الثاني والعشرين.. ثمة ما لا أستطيع تجاوزه ففي هذا المشهد تبرز الدوافع، وأشعر أن هذا مهم جداً.

ـ أنت على صواب.. إنها مهمة جداً.. لماذا لا تتناولين الغداء معي غداً.. وسأساعدك إذا استطعت.

ـ سأكون شاكرة لك.

لقد طلب منها بروس الاتصال به إذا واجهت مشكلة ما ولكنها لا تريد هذا.

التقت بدراك حول الغداء في مطعم يطل على «وايتماثا هاربر». أخرجت غالي بضع أوراق مطبوعة على الآلة الكاتبة ونسخة من الكتاب،

من حقيبة أوراق نحيلة، وقالت: «انظر.. لقد وصلت إلى هنا.. إذا كان لديك أية اقتراحات...».

حرك دراك كرسيه نحوها، ووضع ذراعه على ظهر كرسيها وأخذا يدرسان الأوراق معاً.. بعد نصف ساعة.. استندت إلى الوراء تبتسم له.

ـ هذه هي المشكلة بالتأكيد.. لا أدري لماذا لم ألاحظها بنفسي. شكراً كثيراً لك، دراك.

أدار رأسه ثم عانقها قبل أن يقول متسائلاً: هل تمانعين؟

هزت رأسها نفياً لكنها ابتعدت قليلاً.

ـ الواقع أنك تستحق هذا العناق.. إنما لا تجعل من هذا عادة لديك.

تنهد: ستكون عادة رائعة.. هل أنت عروس ثلج مع الجميع؟

التقطت حقيبة الأوراق وبدأت تضع فيها أوراقها: لا تقلق..

عندما رفعت رأسها تلاقت عيناها بعينين زرقاوين ملؤهما الانهام، عندئذ تشنج جسمها كله فجأة.

كان بروس واقفاً بباب المطعم ويده تمسك ذراع أيسمي مادوا، لكن نظره كان على غالي.

قال دراك بصوت منخفض: «أذكر الذئب..».

أعادت غالي نظرها إليه تسأل: «وهل كنا نتكلم عنه!»

ـ لا.. لكنني كنت أفكر ببروس آشلي.. وها هو.. كنت سأسألك عن..

ركّزت انتباهها عليه: «ماذا؟»

لكنه نظر إلى ما وراءها ووقف.

قال صوت بروس: مرحباً دراك.. غالي.

رسمت غالي ابتسامة على وجهها ووجهتها إلى مكان ما من قميص بروس المفتوح الياقة.. إنه يوم دافيء.. لكنها تتمنى لو كان غير ما هو عليه. فهي لا تستطيع وصف بروس إلا بالمثير.. وها هو دمها يرعد فجأة في شرايينها.

قالت ايسمي: «يا لها من مفاجأة جيدة».

حولت غالي اهتمامها إلى المرأة التي أردفت: كنا نتكلم عنك في الواقع.. أو بالأحرى عن كتابك.

نظرت إلى دراك بتساؤل فسارعت غالي إلى تعريفهما ببعضهما بعضاً.

ـ ايسمي مادوا منتجة الفيلم.

تصافحا. ومال دراك إلى الأمام وعيناه تنظران باهتمام إلى عينيها ولكنه ما لبث أن جذب كرسياً لها:

ـ أرجوك.. انضمي إلينا.. واجلسي.. أنا مسرور بلقائك. هل طلبتما شيئاً؟ دعيني أحضر لك القهوة.. أتودين فنجاناً آخر غالي؟

جلست ايسمي برشاقة.. وبدا بروس على وشك الرفض، لكنه حذا حذوها وجلس بين ايسمي وبين غالي، أما دراك فأخذ يفتعل الضجيج وهو ينادي الساقي بصوت مرتفع.

قالت أيسمي لغالي: كيف تسير كتابة السيناريو؟

تدخل دراك:

ـ سيكون سيناريو رائعاً.. لدى هذه الفتاة مواهب متعددة.

ابتسمت أيسمي، وقال بروس بحدة:

ـ وهل شاهدت ما كتبت؟

ـ كنت أراجعه معها للتو.. ستحبه.

قال بروس وعيناه كشظايا الثلج:

ـ حسناً.. قد تسمحين لي برؤيته في وقت ما غالي.

قالت ببرود مماثل:

ـ طبعاً.. إنما أريد أن أتمّه قليلاً أولاً.

ـ لا تكتبي كثيراً.. فلو اتجهت اتجاهات خاطئة فقد يضيع عملك سدى.. عليك أن تستشيري أحدهم قبل أن تمضي قدماً.

ردت:

ـ استشرت للتو دراك، فهو خبير بكتابة السيناريو.

قالت ايسمي لدراك: «آه! نعم سمعت بك. لقد كتبت سيناريو «موسم أشعة الشمس» أليس كذلك؟»

ـ هذا صحيح.. وبضعة سيناريوهات أخرى.

قالت بلهجة آمرة: «حدثني عنها»

راح يتحدث إليها بإسهاب.

قالت أيسمي معلنة:

ـ أنت خبير إذن.. إنها لائحة مؤثرة من الأعمال.

هز دراك كتفيه:

ـ يسرني أنك تفكرين على هذا النحو.. الواقع.. حسناً.. الواقع أنني كنت سأسأل غالي عما إذا كانت لا تمانع في تمرير كلمة لأجلي.

ـ عمّ؟

ـ إذا كنتم بحاجة إلى مدير سيناريو في الفيلم فسأحب أن أتقدم لهذا العمل.

قال بروس بحدة: «لا نحتاج إلى أحد».

نظرت أيسمي إليه بدهشة: «لا أذكر أننا ناقشنا هذا».

ـ لم نناقشه.

ـ ربما يجب أن نفكر في الموضوع.. أعرف أن غالي كانت متوترة قليلاً بسبب السيناريو.. والفيلم جهد مشترك.. لذا أجد أن مساعدة دراك ثمينة جداً.

قال بروس: «سبق أن طلبت منك الاتصال بي عندما تحتاجين إلى نصيحة.. إدارة السيناريو تكلف مالاً.. ونحن نعمل ضمن ميزانية ضيقة».

وصل الساقي حاملاً طلباتهم.

قالت أيسمي: «مع ذلك، لا أدري.. قد تكون فكرة صائبة أن نستخدم مديراً للسيناريو في الفيلم.. ولكن لك بالتأكيد الكلمة الأخيرة بروس.. فإن أحست غالي بأن هذا سيساعدها فأرى أن الميزانية

ستتحمل؟.

قالت غالي بحزم. أحب العمل مع دراك لأن لديه موهبة في وضع الإصبع على أية مشكلة، وهو إلى ذلك لا يحاول فرض أفكاره علي.

نظر بروس إليها بقسوة.. فردت عليه بنظرة ملؤها التحدي.

قالت أيسمي: «سنناقش الأمر ثم نعلمكما بالنتيجة».

تاولت لبروس السكر ولكنه هز رأسه يرفضه. وضغط دراك على يد غالي تحت الطاولة وهمس:

ـ شكراً.. لعينيّ!

ابتسمت له ابتسامة صغيرة ولكن بروس عبس في وجهها..

اعتذرت في أسرع وقت ممكن قائلة إنها تريد العودة إلى عملها في السيناريو. أصر دراك على أن يقلها وأثناء الطريق راح يتحدث عن الحظ الطيب الذي قاد بروس وأيسمي إلى المطعم في الوقت المناسب.

ـ شكراً، حبي، لدعمك إياي.. لن أنسى هذا لك، صدقيني. وضع اسمي على فيلم من إخراج بروس آشلي لن يضرني أبداً في مهنتي.. أنت ملاك غالي.

ـ ولكنك لم تحظ بالعمل.

تغير مزاجه السعيد قليلاً:

ـ لا.. وإذا أصر بروس فقد لا أحظى به.. لماذا أشعر بأنه لا يحبني؟

ـ أنت تتخيل هذا.

ـ لا.. أنا لا أتخيل.. أنا كاتب عزيزتي، وعندي حدس يجعلني أرى كثيراً من الأمور.. لقد سمعت إشاعة صغيرة منذ أيام.. عنك وعنه. لم أصدق هذا.. فهل هي إحدى الشائعات التي تجول بين الناس.. أم..؟

ـ عليك ألا تصغي للشائعات دراك.. ولا ينبغي أن تصدقها.

نظر إليها نظرة ماكرة: حسن عزيزتي.. إذا كنت تقولين هذا.. إذن.. أنت وبروس لستما..

وحرك يديه تعبيراً.

ـ كتبت قصة سيخرجها فيلماً.. هذا هو كل الأمر

بدت عليه الريبة.. لكنه لم يضغط عليها.

ـ حسناً، أستطيع القول إنني أثرت في أيسمي الجميلة التي بدت معجبة بي.

ـ واثقة من هذا.. ستكون غبية إن لم تعجب بك.

ـ أنت تغذين غروري بنفسي بكلماتك هذه.. أحياناً. ها قد وصلنا.. ألن تطلبي مني الدخول، أم تراك جادة بشأن العودة إلى العمل؟

ـ أنا جادة.. شكراً لدعوتك وشكراً لمساعدتك إياي.. لن أطلب مساعدتك ثانية ما لم تدفع لك شركة الأفلام.

ـ تمنى لي الحظ حبيبتي.. فإن كان لك أي تأثير في بروس المتحجر فاستخدميه من أجلي رجاءً.

ـ قد أسيء إلى الأمور أكثر.

نظر إليها مفكراً: آه! آسف.. يا لسخافتي!

قالت بسخط: «أتصدق إن قلت لك إنني لا أعرف عما تتكلم؟».

هز رأسه: «لا أدري لماذا لم ألاحظ هذا من قبل.. لكنك كثيرة التكتم.. إنه وجهك الشبيه بلوحة الموناليزا.. الذي لا يفصح عن شيء».

ـ دراك!

ـ لا تهتمي.. لن أقول لمخلوق. أعدك.. لكن، لو كنت مكانك لأخذت الحيطة والحذر ولما دفعت هذا الرجل ليغار.. فلديه طبع شرير حين يغضب.

وهي أعلم الناس بهذا.. هذا ما كانت تفكر فيه وهي تدخل إلى شقتها.. ولكنها ستكون ملعونة إن تركت هذا يزعجها.. وليس لديها النية أبداً في دفعه إلى الغيرة ولكنها تساءلت عما إذا كان هو وايسمي سيتناولان غداء عمل، أم غداء خاص.. لكن ألم يقل لها: «إنه رجل متزوج».

كانت مستغرقة بالكتابة عندما قاطعها جرس الهاتف.

نظرت إلى الجهاز وفكرت في تركه وشأنه حتى يستسلم المتصل.. ولكنها أخيرا التقطت السماعة.. فنقل صوت أمها:

- غالي؟ عرفت أنك في المنزل.

غار قلب غالي.

- وكيف عرفت؟ لم أعرف أنك قارئة أفكار.

- اليوم هو الأربعاء.

- حقا؟ نسيت.

- ماذا تقصدين؟

قالت بسرعة: «أنا آسفة أمي.. كنت أفكر في شيء آخر.. فأنا مشغولة».

- حسناً.. أنا آسفة على مقاطعتك عزيزتي.

أحست بالذنب:

- لا بأس حقاً.. ماذا تريدين؟

- أريد أن أسألك عما يقال عن كتابتك لصالح بروس آشلي؟ هذا غير صحيح.. أليس كذلك؟

سألت غالي متوترة: «ومن أين سمعت هذا؟»

- كنت أتحدث لبعض السيدات في الجمعية النسائية، قلن إن الخبر منشور في الصحف.. وقلت لهن إنها المرة الأولى التي أسمع فيها الخبر.. ولكنه منشور في الصحف.. غالي.. فماذا يجري؟

أغمضت غالي عينيها

- سأزوركم في نهاية الأسبوع أمي وعندئذ سنتحدث عن هذا.. أهذا ممكن؟

- إذن.. الخبر صحيح.. ؟ لكن غالي...

- اسمعي أمي.. أنا مشغولة حقاً.. وأنا آسفة لأنك عرفت من الآخرين.

- رأيته على التلفزيون في مقابلة.. هل رأيت..

قاطعتها: أجل رأيت.. ولكنني لا أريد مناقشة الأمر الآن.. أراك يوم السبت.

أخيراً تمكنت من إقفال الخط، ولكنها تعرف أن أمها منزعجة وتحس بالإهانة.. تنهدت وهي تنظر إلى الآلة الكاتبة بتجهم. فنهاية هذا الأسبوع ستكون صعبة.

لم تكن حياة والديها مستقرة مادياً أو سهلة فأمها تعتبر أن «الأمان» هو هدف أساسي للحياة.. وهذا يعني حياة مستقرة وعملاً مستمراً، أو زوجاً جيداً دائماً.. لقد أزعجتهما ابنتهما الوحيدة بطموحها، فمنذ شبت وهي تقول لهما إنها تريد أن تصبح كاتبة، ولكنهما قالا لها: لا يمكنك العيش من الكتابة.. فالكتابة أمر جيد كهواية..

حين وجدت وظيفة في المكتبة، رضيت غالي بالعمل مع الناس والكتب.. فكان أن استقرت في مهنة أطعمتها وكستها وناسبتها كثيراً. وعندئذ تنفس أبواها الصعداء، فالعمل في المكتبة من وجهة نظرهما يجسد قمة المسؤولية.

ليلة الجمعة وفيما كانت توضب ثيابها قرع جرس الباب.. عندما فتحت الباب وجدت بروس هناك.

- ألن تطلبي مني أن أدخل؟

تنحت جانباً بصمت فأقفل الباب وراءه. عندما ارتد إليها بدا لها قريباً وهذا ما جعلها تتراجع بسرعة ولكنها أوقعت بلوزة زرقاء كانت تحملها مع أغراض أخرى فسارع لالتقاطها.

قالت: «شكراً لك.. سأضع هذا بعيداً».

توقعت منه أن ينتظرها في غرفة الجلوس، لكنه لحق بها إلى غرفة النوم، ووقف بالباب فرآها تضع بحذر الثياب المكوية في الحقيبة الصغيرة الموضوعة على السرير.

- مسافرة؟

- أجل.

ـ لعطلة الأسبوع؟

ـ هذا صحيح .. هل لنا أن نرجع إلى غرفة الجلوس؟

نظر في الغرفة ثم ترك نظره يستقر على السرير لحظات.

ـ يعجبني المكان هنا فهو يعيد إليّ ذكريات حلوة.

لم ترد عليه بل تجاوزته رافعة الرأس. في الغرفة الأخرى، قالت:

ـ أتود شراباً؟

ـ ماذا لديك؟

ـ ليس لدي غير العصير والقهوة أو الشاي.

ـ أفضل القهوة.

قالت بثبات «تفضل اجلس».

عندما جلبت القهوة، نظر إلى اللهب المتصاعد من الفنجان.. ثم قال:

ـ قولي لي شيئاً.. لماذا أنت ملهوفة إلى هذا الحد للتعامل مع دراك كوفلنغ؟

ـ لست ملهوفة.. لكنه يبدو لي جيداً، وأعرف أنني قادرة على العمل معه.. وهو مؤهل لمثل هذا العمل.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. إنه مؤهل ولكنني طلبت منك الاتصال بي عندما تواجهك مشكلة.

ـ قد أفعل هذا في النهاية.. لكن دراك اتصل بي صدفة في الوقت المناسب، وكان أن طلبت رأيه..

ـ أتشعرين أنك قادرة على العمل معه بينما تجدين ذلك صعباً معي؟

ـ الواقع.. أجل.

ـ لماذا؟

نظرت إلى عينيه نظرة طويلة.

ـ تعرف السبب.

ـ ما زلت المخرج.. وهذا يعني أنك مضطرة للعمل معي.. هل أنت

نادمة لتوقيعك العقد؟

ـ لا.. فإنه لأمر سار لكاتب أن تكون أنت مخرج لقصة ألفها. ورغم خلافاتنا الشخصية، أنا سعيدة وفخورة لأنك راغب في العمل على كتابي.

بدا دهشاً: شكراً.. المديح منك شيء.. غير متوقع.

ـ أنا لا أمدحك.. بل أقول الحقيقة.

ارتشف شيئاً من قهوته، ثم أمسك الفنجان بكلتا يديه وقال:

ـ سيصبح دراك على الأرجح مشرفاً على السيناريو.. فاهدئي متحمسة كثيراً للفكرة وتظنني أراوغ لأنني أحب وضع كل شيء بين يدي.

ارتشفت غالي قهوتها الساخنة.. ونظرت إليه بحذر.. بدا كأنه ينتظر ردها.. لكن هذا الحديث موضوع حساس وخطير لذا لم تشأ التعليق.

سألها: «هل تتوقعين أحداً؟»

ـ لا.. لماذا؟

ـ تبدين متوترة.

اعترفت: «أشعر بالتوتر عندما تكون معي».

قست عيناه: «وحتام ستستمرين على هذه الحال؟»

هزت رأسها:

ـ لم أقصد.. آه.. لا بأس.. دعك من هذا.

ارتشف بروس المزيد من قهوته ثم وضع فنجانه على الطاولة بنفاد صبر وقال:

ـ تقولين إنه ليس لديك صديق.. دعيني أحزر.. تريدين الذهاب لزيارة أبويك.

ارتشفت المزيد من القهوة، منحنية عينيه.

ـ أجل.. هذا صحيح

ـ وكيف ستسافرين إلى هناك؟

ـ سأستقل الباص.

ـ سأقلك

وضعت فنجانها من يدها:

- لا.. شكراً لك، اشتريت البطاقات.

- يمكنك استعادة ثمنها.. ستشعرين براحة أكبر في سيارتي.

- لا.. لن أشعر بالراحة

نظر إليها بحدة: «والسبب وجودي»

تلاقت عيونهما: «بالضبط»

تأملها ملياً باهتمام.. ثم قال بصوت منخفض: هذا اعتراف مهم.

تورد وجهها: «لم أقصد هذا».

تركزت عيناه على وجهها، وشد على فمه:

- تعرفين أن لا داعي للخوف مني

- وكيف أعرف؟ لا تجعلني أضحك!

- عندما جئت في المرة الأولى إلى هنا، اعتقدت أنني برهنت على هذا.. آه.. نعم تظاهرت لبرهة أنك لا تطيقين رؤيتي.. لكنني لست غبياً بحيث لا أعرف متى ترغب فيّ امرأة.. ولن أقول إنني لم أدهش.. لكنني لم أكن مخطئاً.

ردت بحدة: كنت تحت تأثير ذهول رؤيتك مجدداً

ضحك فجأة: هذا كلام هراء وتعرفين هذا.. هيا الآن عالي، فلنعقد هدنة.. نحن مضطران للعمل معاً.. ولن يفيدنا أو يفيد الفيلم المضي في تمزيق بعضنا بعضاً.

لقد نسيت كيف أن الضحك يغير أسارير وجهه ويجلب نوراً حنوناً إلى عينيه

قالت بجفاء: «لا أريد القتال».

- حسناً.. إنه شعور مشترك.. أصدقاء؟

وقف وشدها معه لتقف.. هزت رأسها إيجاباً وحاولت الانسحاب.. لكنه قربها إليه ثم عانقها بشكل خاطف.

- أحب حقاً اصطحابك إلى «نايمز».. وستكون فرصة جيدة لمشاهدة

المنطقة.. فنحن نفكر في التصوير هناك.. إن مرافقتك إياي ستفيدني لأنني سأرى الأشياء من خلال وجهة نظرك.

بطريقة ما ناورها.. وبسبب الهدنة التي عقداها للتو، لم ترغب في إفساد الأمر.. ولكنها ما زالت تشعر بأن أنفاسها مقطوعة بشكل غبي بسبب لمسة شفتيه الخفيفة.

لن ينتظر أبواها الباص إلا إذا اتصلت بهما وطلبت منهما ذلك.. لديها أصدقاء يقومون برحلات منتظمة إلى «نايمز».

وافقت: «حسناً.. يمكنك أن تقلني».

* * *

٤ ـ لا تتكلم عن الحب!

وصل بروس باكراً . وكانت قد ارتدت سروالاً من الجينز وبلوزة محاكة يدوياً ولكن نظرته أشعرتها بأنها لا ترتدي ثياباً . أشعر بدنها بمزيج من الانزعاج، وبشيء آخر لم ترغب في التعرف إليه . وابتسم لها وكأنه يعرف ما تشعر به .

تركت الباب مفتوحاً وقالت : سأحضر حقيبتي . لن أتأخر .

ـ سأحملها لك .

ولحق بها إلى غرفة النوم .

بعدما رمت في الحقيبة فرشاة شعرها وحقيبة الماكياج الصغيرة وأقفلت السحّاب، مد بروس نفسه من أمامها ليأخذ الحقيبة، فتراجعت بسرعة وكادت تفقد توازنها

لامست ذراعه ذراعها عندما رفع الحقيبة ولكن عينيه كانت تبرقان ببريق غريب . وما هي إلا لحظة حتى رمى الحقيبة على السرير وأمسك كتفيها بضمها إليه .

قاومته بصمت ولكنه أمسك معصميها ووضعهما خلف ظهرها فكان أن اقترب جسمها منه بشكل حميم . وبقي هكذا للحظات طويلة، ثم بدا وكأنه اكتفى . فدفعها عنه، وقال وهو يتنفس بقوة :

ـ هذا ما كنت تتوقعينه . أليس كذلك؟ الهجوم؟ هذا كل ما كان سيحدث، ولا داعي للقلق بعد الآن، والآن هلا ذهبنا؟

تناول الحقيبة عن السرير مجدداً وخرج من الغرفة . سمعته يفتح

الباب الخارجي . لكنها ظلت واقفة حيث تركها .

لن تذهب معه . ستقول له إنها أتعبت الرحلة . لكنها أتعبت بطاقات الباص فماذا تفعل؟ إن والديها بانتظارها .

عندما خرجت من المنزل، وجدته يصفق باب السيارة ولكنه لم ينظر إليها وهو يفتح لها الباب إلى جانبه، وبعدما جاء إلى مقعد السائق حدّق إلى الأمام مباشرة وأمسك المقود بكلتا يديه حتى ابيضت عقد أصابعه .

أخيراً قال بصوت كئيب :

ـ لم أقصد أن أفعل هذا . وأعدك بألا يتكرر هذا مرة أخرى . لكن ألا يمكنك التوقف عن الإجفال كلما اقتربت منك؟ إنه تصرف يستفزني كثيراً .

سألت بمرارة : «وهل تلومني؟»

لكوّر فمه ورأت ارتفاع لونه البسيط، ثم قال بهدوء :

ـ ربما لا . لكنك لم تنكمشي مني تلك الليلة بعد الحفلة . فلماذا الآن؟

ـ سأحاول عدم الإجفال منك شرط أن تحافظ على وعدك .

نظر إليها وكأنه يريد قول شيء . لكنه هز كتفيه . وشغّل المحرك .

ما هو إلا وقت قصير، حتى أصبحت المدينة وراءهما . كانت السيارة تجتاز تلال «بومباي» الرائعة وأرضها الزراعية الخضراء . في أسفل السفح المنحدر الطويل المنحني، انعطف جنوباً سالكاً طريق الساحل . بعد قليل، بدأت المزارع المسيّجة بشكل مرتب تبدو حول التلال المغطاة بشجيرات الأشواك، إنه يوم حار السماء فيه زرقاء صافية .

تحدثا قليلاً . وسألها بروس مرة :

ـ هل يعرف أبوك بأمر الفيلم؟

ـ أجل . اتصلت أمي . أخبرها أحدهم أنه قرأ الخبر في الصحف من مصدر هذا الخبر؟

ـ لست أنا . بل أيسمي على الأرجح . فهي بحاجة للدعاية

للحصول على التمويل . وماذا قالت أمك؟

ـ لم أمهلها وقتاً لتتحدث إليّ . قلت إننا سنتكلم عن الأمر حين آتي إلى المنزل . ولن يعجبها أن تعرف بخبر ترك العمل في المكتبة من أجل كتابة السيناريو . و .

ـ و . . ماذا؟

ـ و . . أشياء كثيرة أخرى .

ضحك : وهل يهمك هذا؟ هل أنت ذاهبة حقاً إلى هناك لتبرري نفسك أمامهما ، لتبرري قراراتك المتعلقة بمستقبلك؟

ـ لا أريد أن يقلقا أو يشعرا بالتعاسة بسببي . . هذا كل شيء .

ـ إن كان يحبانك فسيوافقان على أي قرار تتخذينه وسيسعدان من أجلك .

ـ يبدو لك الأمر بسيطاً . .

ـ ولكنه ليس بسيطاً بالنسبة لك كما هو واضح . أشعر أحياناً بالسعادة لأن ليس لي عائلة .

قالت بلسان سليط :

ـ لو كان لديك عائلة لكنت أكثر تسامحاً وتفهماً

ـ أحاول ذلك .

رمته بنظرة حائرة .

وصلا إلى كاراج ومجموعة محلات ، بينها صالة شاي ومخبز .

سألها : «هل تناولت الفطور؟»

ـ احتسيت فنجاناً من الشاي مع قطعة توست

ـ أود التوقف لتناول وجبة سريعة . . هل نأكل هنا أم نأخذ بعض السندويشات معنا؟

كان في غرفة الشاي عائلتان ، وجماعات من الأولاد الصغار الذين ضجوا كثيراً .

قالت غالي : الطقس حار على الجلوس هنا . فلنحمل طعامنا ولنقم

بنزهة .

اشترى بروس سندويشات ومرطبات معلبة وبعض الحلوى ، ولكنه لم يسمح لها أن تدفع شيئاً . عندما اعترضت قال .

ـ سنضيفها إلى النفقات . . فهذه الرحلة تأتي تحت بند الأبحاث .

وجدا مكاناً جميلاً يبعد قليلاً عن الطريق ، يطل على ساقية تحت ظل أشجار «التوتاراء» الشائكة والماتاي الصفراء . أخرج بروس بساطاً من صندوق السيارة بسطه على الأرض ، واختارت غالي الجلوس على حافة الظل ، حيث تصل الشمس قليلاً . في هذا الوقت اختار بروس جذع شجرة ثم فتح لفافة السندويشات . . تناولت منه سندويشاً وهمّ هو بتناول سندويش أيضاً . . فتلامست أيديهما ولكنها سارعت إلى سحب يدها بعيداً . . عندئذ تراجع بروس إلى الوراء ولم يأخذ السندويش . غير أن التوتر تفاقم بينهما حتى أصبح حاداً كحدّ السكين .

أخيراً قال : لقد وعدتك . .

ـ آسفة . . لم أستطع منع نفسي .

فجأة تحرك فخاضت معركة عنيفة بينها وبين نفسها لتبقى على حالها . . لكن يديها تكورتا في حضنها بقوة .

تنهد : أعطني يدك .

نظرت إليه دون أن تتحرك .

كرر وهو يمدّ يده إليها : أعطني يدك . . رجاء .

رفعت يدها ببطء ووضعتها في يده الممدودة فتركها للحظات كما هي . ثم أطبقت أصابعه بلطف عليها . .

ـ هاك . . أنا لا أؤذيك . . صحيح؟

ـ بالتأكيد لا

كانت أصابعه دافئة وقوية .

ـ هل لمستني . . كريهة؟

رفعت نظرها إليه . فوجدت عينيه ثابتتين عليها ووجهه متوتراً . .

ورأت في عينيه سؤالاً، ومجرد شك إنه لا يثق بنفسه كما يدعي.

قالت: «لا».

التوى فمه قليلاً: أنا مسرور لهذا.. على أي حال، تركتني أتساءل فترة.

ـ هذا لا يعني..

ـ أعرف.. هذا لا يعني أنك تعطيني أية حقوق، ولن آخذ شيئاً على أنه أمر مسلّم به.. لن المسك إلا إذا أوضحت أنك تريدين مني هذا.. لكن من الأفضل أن تعرفي منذ الآن أنني لن أتخلى عنك أبداً.

جفّ حلقها: لقد تحدثت عن طلاق..

ـ أجل.. سألتك عن رأيك.. وقلت إنك لن تهتمي. فلنواجه الحقيقة، أو العواقب.. هل.. يهمك؟

تحركت يدها في يده.. فاشتدت قبضته قليلاً ولو بحذر لئلا يؤلمها..

قالت: إن كنا نلعب لعبة الحقيقة أو العواقب.. فماذا عنك؟

ـ ألم أقل لك للتو؟ أنا أحبك.

هزت رأسها: تكلمت عن استبقائي لا عن تركي.. وكأنك تريد امتلاكي.. فهل هذا هو الحب؟

شحبت بشرته وقسا فمه.. وكادت ترى عقله يفكر بسرعة، فجأة أصبحنا بؤرة نور مسلطة على وجهها.

ـ أحس بهذا وكأنه الحب.

التوى ثغرها بمرارة: أريد ما هو أفضل من هذا.

ـ أفضل؟

ـ أجل.. ما هو أكرم..

حاولت سحب يدها لكنه ظلّ يمسك بها:

ـ لم تردي على سؤالي.. ماذا عن مشاعرك؟

طأطأت رأسها ونظرت إلى البساط:

ـ لا أعرف.. لا أعرف ما هي مشاعري.

ـ لكنك قلت إنك تكرهيني.

ـ أحياناً.. أكرهك.

ـ وأحياناً أخرى؟

كررت: «لا أعرف.. أنا مشوشة.. وغاضبة.. و..»

حركت يدها الأخرى بعجز.

قال: لقد جرحت وتألمت، وأعرف هذا. وأريد أن أعوضك عن هذا، أعرف أنني الآن قادر على هذا.. فاسمحي لي أن أعوض عليك.

تحرك غضبها:

ـ لن تستطيع التعويض على بروس.. هناك الكثير مما.. لا يمكن إصلاحه.. لا يمكن «إصلاحه» هكذا.. أتعتقد أنك قادر على الدخول هكذا وتولي أمر إصلاح كل شيء!.. لا.. ليس الأمر كما تصوّره.. أنت لا تفهم.. أنت لا تعرف..

ـ لا أعرف ماذا؟

هزت رأسها ثم أشاحته عنه، فترك يدها ليمسك كتفيها.

ـ قولي لي.

ـ دعني بروس.. لقد وعدتني..

ابتعدت يداه عنها.

ـ حسناً.. حسناً.. لكنني أريد أن أعرف.

ـ آه.. حباً بالله! ألا يمكنك التفكير بشيء في غير ما تريده أنت؟

ارتدّ إلى الوراء وراح ينظر إليها ممتقع الوجه.

ـ أهكذا يبدو الأمر لك؟

ـ أجل.. إذا كنت تريد أن تعرف.. هكذا يبدو لي بالضبط.. وهكذا بدا لي دوماً.. أنت تريدني.. تريد معاشرتي.. والآن تريد أن تعرف بماذا أفكر، بماذا أشعر وما الذي حدث لي.. لماذا؟ لأن هذا عائق في طريق ما تريده مني.. وهذا كل شيء!

WWW.REWITY.COM

اشتعلت عيناه غضباً:

ـ أريد أن أعرف لأنني أحبك، ولا أريد أن تكوني تعسة.

ـ لا أظن أن لديك أدنى فكرة عما هو الحب.. ولا أظنك عرفت يوماً.. أنت معاق عاطفياً.

ـ أنا؟

ـ أجل.. أنت!

ـ وأنت؟ كم سنة مرت وأنت تعيشين كراهبة غالي؟ لقد أقفلت على عاطفتك في مكان آمن وسيصيبها الصدأ لقلة الاستخدام؟

ـ أهذا ما تظنّه؟ أنني كالأميرة النائمة غارقة في عالم النوم؟.. وماذا ستفعل؟ ستوقظني بقبلة؟ لا أحتاج إلى هذا.. شكراً لك.. الواقع أنني سعيدة كل السعادة بدونك!

ـ حقاً؟

ـ أجل.

ـ إذن.. لماذا لم تطردني حين أتحت لك الفرصة؟

صرّت على أسنانها: تعرف السبب.

ابتسم وضاقت عيناه:

ـ أجل.. أعرف، وأنت تعرفين أيضاً.. مع أنك لا تعترفين بهذا.

هبّت على قدميها:

ـ أنت تعود دوماً إلى النقطة عينها! إلى لحظة ضعف! بصراحة كان قد مضى زمن طويل منذ أن قاربني فيه رجل.. وكنت أنت موجوداً.. ومقنعاً، وكان يمكن أن تكون أي رجل آخر.

وقف بروس أيضاً ووقف وراءها.. كانت تشعر بالتوتر الذي هو فيه.. وتعرف مدى السيطرة التي يستخدمها لضبط نفسه لئلا يلمسها، ولئلا ينفس غضبه وإحباطه عليها.

قالت: «حسناً.. أنت طلبت هذا».

عندما لم يرد، أطبقت شفتيها، فقد عرفت أنها تفوهت أكثر مما

يكفي.. سحبت أنفاسها بهدوء مترقبة، خائفة من الحراك.

لم خفّ التوتر تدريجياً، وعرفت أنه ابتعد عنها.

سأل: «أتريدين حلوى التفاح؟»

هزت رأسها: لقد أكلت ما فيه الكفاية.. أظنني ذاهبة لأتمشى قليلاً.

لم تنظر إليه حتى بل حثت الخطى سالكة الطريق المعاكس لمجرى الساقية. أبعدت شجيرة شائكة بحركة آلية ونحّت جانباً غصون نبتة (ماندكا) وقعت على الطريق. رأت سرخساً نابتاً قرب حافة النهر. كانت بعض أوراقه حمراء كالدم يغطيها الماء الذي يجري قرب الحافة الضحلة، قافزاً فوق الحجارة التي تعترض طريقه. وهناك جلست على صخرة رمادية، ووضعت ذقنها بين يديها وراحت تحدّق إلى المياه المنسابة حتى استرخت كلياً وباتت غير قادرة على التفكير في شيء أبداً.

مضى وقت طويل قبل أن تتحرك على مضض، عندها رأت بروس مستنداً إلى جذع شجرة وذراعاه مطويتان وعيناه غارقتان بالتفكير.

سألت: «منذ متى وأنت هنا؟»

ـ منذ فترة.. هل أنت مستعدة الآن للذهاب؟

بدا مهذباً كثيراً فحاولت تقليد لهجته:

ـ أجل بالتأكيد.. آسفة لأنني تركتك تنتظر.

ارتدّ إلى الخلف متعمداً تاركاً إياها أمامه:

ـ أبداً.

توجهت إلى السيارة ولكنها شعرت بأن عينيه تلحقان بها ولا تفارقانها.

عندما وصلا إلى البلدة أوقف بروس السيارة في الشارع الرئيسي العريض، وأخذ يتطلع إلى الشرفات وإلى المحلات والأبنية الخشبية المؤلفة من طابقين والعائدة إلى القرن التاسع عشر.

قال: «أجل.. هناك الجو.. طبعاً. هل تمانعين إن سرنا قليلاً؟»

سارا في الشارع، ثم تسلقا شارعاً أكثر انحداراً يفضي إلى منطقة

سكنية. كانت المنازل الحديثة مبنية إلى جانب الأكواخ القديمة والفيلات القديمة.

قال بروس بإعجاب:

- أحب هذه الأشياء.. عليّ أن أرى إن كان بالإمكان التقاط صورها.

- والداي بانتظاري. تذكر هذا.. سأتصل بهما.

- سأقلك في الوقت المناسب. لا داعي للاتصال بهما.

- سيأتيان لاصطحابي إذا اتصلت بهما وعندئذ يمكنك البقاء قدر الإمكان هنا.

- سأفعل هذا غداً. وفي المساء سألقي نظرة شاملة بمفردي وذلك بعدما أجد فندقاً..

ما إن عادا إلى السيارة حتى فتحت غالي نافذة السيارة.

قال لها: في السيارة مكيف للهواء.

- إذا كنت لا تمانع أنا أفضل الهواء النقي.

ابتسم: أعتقد أنني اعتدت على العادات الأميركية.. نسيت أن أهل هذه البلاد لا يثقون بالرفاهية التي تؤمنها بعض الآلات كالمكيفات في السيارة.

- لا أظن أنها الكلمة الصحيحة.. فهواؤنا غير ملوث، في أميركا أكثر من التلوث والسيارات السريعة.

- أعرف.. يعجبك المقام هناك أليس كذلك؟

- أحياناً.. ولكنني أفتقد إلى أشياء ما في الوطن.

انعطف سالكاً طريقاً ضيقة، أصبحت بعد قليل متعرجة غير معبدة. ثم لمحا الماء، فراحت السيارة تنزل إلى موقف سيارات غير منظم يقع قرب استدارة في نهر صافية مياهه، يصب فيه شلال.. كان بعض المراهقين يسبحون في البركة العميقة قرب النهر، ويتسلقون صخرة الشلال ليقفزوا إلى المياه.

تمتم بروس: أجل.. أوشك على نسيان وجود مثل هذه الأماكن

استخدمت هذا المنظر في كتابك. أليس كذلك؟ في ذلك الفصل الذي تتحدثين فيه عن حفلة سباحة أقيمت قبل ذهاب الرجال إلى الحرب.

لحقت به وهو يسير إلى حافة الماء متأملاً ما حوله بعيني خبير. أشار إلى فسحة معشوشبة مسطحة تتدلى فوقها التعريشات المزهرة التي تبعث وراءها شجيرات الأشواك المحلية

- سنتناول طعام النزهة هناك.. وسنستخدم الصخرة التي يقفز الأولاد عنها.

هزت غالي رأسها ومسحت العرق عن جبينها بأصابعها.

أشار بروس برأسه إلى الشباب والبنات الذين يلعبون في الماء.

- في الواقع.. ما هذه بفكرة سيئة.

- استخدام الصخرة؟

- بل السباحة.. هل لديك ثوب سباحة في حقيبتك.

- أجل.

- وأنا أحتفظ بثوب في سيارتي.. فما رأيك

أغراها منظر المياه وشعرت بأن من الأفضل الوصول إلى منزل ذويها منتعشة على الوصول عرقة.

وافقت: عشر دقائق إذن؟

غيرت ملابسها وراء الشجيرات الشائكة، ثم ظهرت مرتدية ثوب سباحة من الساتان الأملس الأسود. ولكن بروس كان في الماء. غطس إلى الأسفل وسبح تحت الماء عدة ياردات ثم خرج يهز رأسه مبتسماً لها قائلاً:

- المياه باردة.. ولكنها منعشة.

وكان على حق بشأن برودة الماء، لكن بعد الصدمة الأولى وجدت المياه منعشة. سبحت بسرعة في البركة، ثم ارتدت لتطفو على ظهرها. كان المراهقون قد بدأوا الانسحاب وراحوا يركبون فاناً قديماً. انطلق هادراً وسط صيحات المرح.

ظهر بروس من تحت الماء قربها وسأل:

ـ أتظنين أنا أخفناهم؟

ـ لا يبدو أن من السهل إخافتهم.

سبحت نحو صخور قابعة قرب الشلال ثم خرجت والقت نظرة إلى الأعلى حيث كان الشبان والبنات يقفزون.

رفع بروس نفسه إلى جانبها وجلس مدلياً قدميه في الماء:

ـ منذ متى لم تقفزي من هنا؟

ـ وهل تتحداني؟

ـ أنا لا أتحدى الناس.

تسلق هو أيضاً فراقبته لبضع لحظات، ثم لحقت به. كانت قدماها تجدان بسهولة المواطئ المألوفة التي استخدمتها مئات المرات في طفولتها.

مد يده لها ما إن وصلت إلى القمة، فأخذتها عن غير امتنان وسمحت له أن يسحبها تلك الخطوة النهائية. استبقى يدها في يده، وابتسم لها ثم تقدمها خطوة إلى الحافة. بدت المياه أبعد بكثير مما كانت.. وللحظات كادت تتراجع. ولكنه ظل يمسك بيدها وارتفع حاجباه قليلاً وهو يقول: «اتفقنا»؟

هزت رأسها مقطوعة الأنفاس: «اتفقنا».

تقدما معا وقفزا في الفراغ وأقدامهما تسبقهما إلى الماء. أطبق السائل الشفاف البارد من حولهما، مانعاً رؤية العالم في قوقعة من صمت ناعم لم يكن له وزن حتى لامست أطراف أصابعهما القعر، ثم أخذا يرفسان صعوداً. وأدارها بروس بحيث أمسكا بأيدي بعضهما بعضاً فكان أن التصق الجسدان وهما يخترقان سطح الماء.. كانت تشهق ضاحكة عندما التفت ذراعاء حولها. ونظرت عيناه إليها بسؤال صامت، وتذكرت أحلاماً كهذه.. فأغمضت عينيها.

أحست يده تداعب خدها وصوته يقول:

ـ غالي؟ افتحي عينيك حبيبتي.

فتحتهما على مضض، وكان جسمها يطفو مع جسمه في الماء.

أغمضت عينيها من جديد ولكنه شاهد الرد فيهما.. عندما لم تحتج التفت ذراعاه حولها باردتين رطبتين بفعل المياه المنعشة، ولكن عناقه كان دافئاً وما هي إلا لحظات حتى غاصا معاً تحت الماء حتى اضطرا للتنفس. وشدها إلى السطح ليمرر يديه على ذراعيها، قبل أن يتركها.

لم يكن لديها منشفة، ولكنه تركها تستخدم منشفته أولاً. مشطت شعرها فيما كان يجفف نفسه ويرتدي ثيابه. ثم عادا إلى السيارة.. وهناك توقفا لحظات لينظر بروس إليها، وردت له النظرات بشيء من الحرج. مد يده يلامس شفتها بإصبعه، وقال برقة:

ـ لا تنظري إلي هذه النظرة فأنت لم تعطني شيئاً.. وأنا لن أستغل الموقف..

استقبلهما كلب بني وأبيض راح ينبح حتى وصلا إلى منزل المزرعة المربع الحديدي السقف ذي الشرفة، وفتحت غالي بابها لتقول بحدة:

ـ اهدأ كولي! اجلس واصمت!

أطاع ولسانه يتدلى متسائلاً فرتبت رأسه وشدت أذنيه قائلة:

ـ كلب جيد.

تعالى صوت أمها:

ـ غالي؟ أهذه أنت! ظننتك لم تلحقي بالباص وإلا لاتصلت بنا.

ترددت قبل أن تواجه أمها:

ـ وجدت من أقلني

صفقت باب السيارة خلفها

قال: «مرحباً سيدة تونتر».

كانت تنظر إليه عندما لحق بها زوجها إلى الشرفة.

شرحت لأبيها:

ـ أقلني بروس. قلت له إنني أستطيع الاتصال من البلدة، لكنه أصر على أن يقلني إلى هنا.

تركت الكلب ودارت حول السيارة إلى جانب بروس. نظر والدها إلى مرافقها بامعان، ثم قال:

ـ مرحباً بروس.. من الأفضل أن تدخلا.

قال بروس بصوت لطيف:

ـ لا أريد التطفل عليكما، شكراً.. يجب أن أجد فندقاً لأقضي ليلتي فيه.. لذا يجب أن أعود إلى «تايمز» فوراً.

قال السيد نوتنر:

ـ فندق؟ ولماذا؟ بت ليلتك عندنا.. كان عليك إخباري بأنك آتية معه يا غالي.

ـ لم نتفق على ذلك إلا ليلة أمس فقط.

قالت الأم: «حسناً.. هو الآن هنا، ويجب أن يبقى معنا».

تورد وجه غالي فنظر إليها بروس ساخراً:

ـ ليس هذا ضرورياً في الواقع.

احتجت السيدة نوتنر: لن تستطيع الإقامة في فندق.

بدت التسلية على وجه بروس:

ـ لا أرى ما يمنعني من ذلك.

ـ لن يبدو هذا مناسباً، يمكنك المبيت في الغرفة الإضافية.

تنحنح الزوج: بل عليه أن يشارك غالي غرفتها.

تورّدت وجنتا السيدة نوتنر وكورت فمها بغضب.. أما غالي فهزّت رأسها ساخطة:

ـ لا.. لن تشارك غرفة واحدة.

قال بروس ضاحكاً:

ـ حبيبتي.. ولم لا؟ على أي حال ما زلنا متزوجين.

* * *

قالت غالي بجرأة واضحة:

ـ ما زلنا متفصلين.. سأحضّر لك سريراً بعد الغداء.

ارتقت الدرج دون أن تنظر إليه، وقالت السيدة نوتنر باستهجان:

ـ حسناً.. الأفضل أن تدخل إذن، سأجهّز لك مكاناً.

دخلت إلى المنزل أمام الرجلين، ثم لحقها زوجها. وصلت غالي إلى الباب ومسحت قدميها بشكل آلي في الممسحة أمامه، ولحق بها بروس ممسكاً ذراعها.

ـ ما زلت قادراً على إيجاد فندق.. إلا إذا أردت مني البقاء.

أمر غريب.. إنها لا تريد منه أن يذهب.. ربما كانت في عقلها اللاواعي تعتمد على دعمه المعنوي مع أن مجرد وجوده يثير الاهتياج، خاصة لأمها.

قالت: «لا بأس في هذا.. لا أمانع أن تبقى هنا».

ـ هذا غير كافٍ غالي.. كوني صادقة.. أتفضلين أن أذهب؟

وجدت الشجاعة لتلتقي عينيه:

ـ لا.. بل أريد منك أن تبقى.

ابتسم ونحرك إصبعه على ذراعها:

ـ لكن في سرير الضيوف؟

ـ أجل.

أبعد يده عن ذراعها: فليكن!

عمّ الجوّ الارتياك أثناء وجبة الغداء التي قدمت فيها السيدة نوتنر اللحم البارد والسلطة والبسكويت والشاي وسط صمت مطبق. أما السيد نوتنر فراح يتحدث حديثاً جافاً مع بروس.. في هذا الوقت راحت غالي تتساءل عما إذا أخطأت في الإصرار على بقائه هنا.

فيما بعد، خرج ليأتي بحقيبتهما من السيارة، وعندما عاد وجدها تضع المراشف النظيفة على السرير في الغرفة الإضافية. وضع حقيبته من يده وأخذ يراقبها، فاستقامت وقالت بحدة: «ساعدني».

ضحك برقة: بل سأتفرج فقط.. فلا أظنك تنكرين عليّ هذا؟

بدا لها من السخافة أن تقول إنها تنكره عليه. مع ذلك أزعجتها نظراته. ولم ترد، بل عادت إلى ترتيب الشراشف تحت الوسائد بكفاءة.

ـ في الحمام منشفتين إحداهما للاغتسال والثانية لتجفيف الوجه واليدين. إذا احتجت شيئاً آخر اطلبه.

رفع حاجبيه. قد أجرب هذا.

نظرت إليه ببرود ونقدمت لتمر به. لكن ذراعه سدت عليها الطريق. قال:

ـ استرخي غالي. كنت أمازحك.

ردت باختصار: «مزاجي لا يسمح بالإصغاء إلى المزاح، دعني أمر. أرجوك».

تنحى جانباً، فخرجت إلى غرفتها لتفرغ حقيبتها.

لم تفهم غالي ردة فعلها. لقد أرادت منه أن يبقى. ولكنها الآن متوترة الأعصاب. منذ عاد بروس إلى حياتها وهي تشعر بأنها تركب أرجوحة عاطفية. أقنعت نفسها أنها تكرهه. مع ذلك ما إن رأته مجدداً حتى عادت كل الجاذبية التي شعرت بها نحوه، ومنذ الليلة الأولى استجابت له. ومنذ ذاك الحين ومشاعرها تؤرجحها ذات اليمين وذات الشمال.

عندما عادت إلى الطابق السفلي وجدت أمها في المطبخ. تغسل البطاطا بقوة. تناولت غالي فرشاة تقشير من الدرج وبدأت تساعدها ثم سألت: «أين أبي؟»

ـ ذهب لإصلاح الجرار وقد رافقه بروس.

ـ بروس؟

لا تعتقد أن بروس يفهم شيئاً عن الجرارات. ولكنه يعتقد بلا شك أن صحبة أبيها أفضل بكثير من صحبة أمها. لعدم موافقة والدها على بروس كان يشويه دائما تفهم الرجل للرجل.

قالت الأم بوجه متجهم: أجل. بروس. زوجك الذي نسيت أن

تخبرينا بأنك آتية معه.

ـ آسفة. كان علي أن أعلمكما مسبقاً. لكنني شعرت.. بالإحراج. كان في نيتي أن أتركه في البلدة.

ـ أتقصدين أنك أملت ألا نعرف؟

أجفلتها لهجة الاتهام في صوت أمها:

ـ لا.. بل كنت سأخبركما.. وهناك أشياء أخرى يجب أن أقولها.

وضعت السيدة توتنر حبة بطاطا مقشرة في الوعاء الكبير على رف المغسلة، والتقطت واحدة أخرى:

ـ وهل عادت المياه إلى مجاريها؟ قلت إنكما ما زلتما منفصلين.

ـ لا، لم تعد المياه إلى مجاريها.. إنها رحلة عمل بالنسبة له. علمت بأمر الفيلم.. ونحن نبحث عن أماكن للتصوير.

راحت أمها تقشر البطاطا بقوة: أنت تلعبين بالنار.

تمتمت غالي: «سأكون حذرة».

سخرت منها أمها:

ـ حذرة! كنت تفقدين عقلك كلما جاء هذا الرجل.. إنه يريد شيئاً واحداً.. وشيئاً واحداً فقط.. ولا أدري لماذا لم تستطيعي رؤيته على حقيقته

ـ أعرف ما هو عليه.

نظرت إليها أمها بريبة: «أشك في هذا».

التقطت الوعاء بعدما رمت غالي آخر حبة بطاطا مقشرة ووضعته في المغسلة لغسلها.

أضافت: «ليس عنده أبداً أي إحساس بالمسؤولية.. حذرتك من هذا منذ المرة الأولى..».

ـ أجل.. أعرف أنك حذرتني.

ـ وكنت أصغر من أن تعي ماذا تفعلين..

ـ أجل.. حسناً. ليس هناك أي جدوى من قول هذا مرة أخرى..

ليس كذلك؟

أقفلت صنبورة المياه ثم أعادت الوعاء إلى رف المغسلة.

- لا أعتقد. لكن ماذا ستفعلين الآن؟ ماذا عن مسألة إخراجه للفيلم عن كتابك؟

- إنه مخرج بارع أمي. بل هو أفضل مخرج في نيوزيلندة.

- ومن اختار كتابك؟

- لقد لفت نظر شركته إليه.

- فهمت. إذن هي فكرته؟

- في الأصل.. أجل.. إنما هناك آخرين يوافقونه.. أحدهم المنتجة. ولا أستطيع إخفاء فخري لاختيار كتابي.

ابتسمت الأم فجأة، ولكن الابتسامة لم تمسح العبوس القلق من بين حاجبيها.

- أجل عزيزتي.. أنا ووالدك مسروران أيضاً.. ولكن.. ليت هذا لا يعني عودتك إليه مرة أخرى.

- وهذه أمنيتي أنا أيضاً.. لكن ليس من المحتمل أن تتاح لي الفرصة. ولا يمكنني إضاعة الفرصة بسبب مشاكل شخصية.

تنهدت السيدة توتنر: أعتقد هذا.. حسناً.. أستطيع القول أن كل شيء سيكون في النهاية زوبعة في فنجان.. أعني، أن كل شيء مثير وما إلى ذلك.. لكن السينما!

- لقد نال بروس نجاحاً مميزاً في هذا المضمار.. والواقع أن المخرجين يتقاضون أجوراً عالية.

- هذا واضح.. رأيت سيارته.. ولكنه ينفق كل ماله على أشياء كهذه.. وعليك أنت أن تكتبي السيناريو!

- حدث هذا لأنني فضلت أن أكتبه.. عرضوا الأمر علي فقبلته.. فهذا أفضل، لأنه كتابي.

- ومن أين لك الوقت؟ إنه عمل مرهق.

سحبت غالي نفساً عميقاً

- تركت وظيفتي.. في المكتبة.. لأفرغ وقتي كله لكتابة السيناريو.

كما توقعت غالي، كادت ردة فعل أمها تصل إلى حد الصدمة.. خيبة الأمل، والسخط.. ولكن عندما عاد الرجلان كان وقع الخبر قد خفت وطأته على أمها، وأحست غالي بالراحة والدهشة عندما عرفت أن بروس أخبر والدها بكل شيء.. ولاحظت أيضاً أن والدها قد مال قليلاً نحو بروس، وأصبحا تقريباً صديقين.

ذلك المساء، بعد العشاء عرض بروس عليها يد المساعدة في غسل الصحون، أما والداها فجلسا يشاهدان التلفزيون في غرفة الجلوس.

قالت: «لا داعي لهذا»

- إن كنت تريدين الخلاص مني فقولي هذا.. رجوت أن يكون الجو هنا أكثر دفئاً بدرجات.

ابتسمت بجفاء.. لا شك أن تصرف أمها بارد جداً، وعدائيتها بارزة تقريباً.

ردت عليه قائلة: رأيتك متفقاً مع والدي.

- نعم صحيح.. لقد تبادلنا الحديث قليلاً. ولا تسأليني عما قيل لأنني لن أخبرك به، ولم يكن هناك الكثير.. حقاً.. فوالدك رجل صموت.. وماذا قالت أمك؟

- كما توقعت.

- وما هي الأفكار التي أغدقتها عليك؟

- لن أقول لك ما قيل.. أنا أيضاً.

- أستطيع أن أحزر.. لم أكن قط الصهر المثالي لها.

- يا لبروس المسكين! أنت غير معتاد على أن يكرهك أحد.. ولا شك أن هذا كان صدمة لإعجابك بنفسك.

هز كتفيه: «هذا لا يحدث دائماً.. وأستطيع فهم مشاعر والديك في أيامنا الأولى.. فأنا بالنسبة لهما كنت المقاتل الكادح الذي يفتقر إلى

العقل الذي يدفعه للهرب من تحت الخطر».

- لن يقول والدك هذا.. أما أمك فلست واثقاً من رأيها.

- لن يستطيعا قول هذا الآن.

ردت بسرعة: «دع أمي خارج هذا الموضوع».

- وهل يمكننا هذا؟ أريد استرجاعك.. فإن كان لأمك تأثير فيك كما كان تأثيرها في السابق فسيصعب تحقيق ذلك.

- أولا تعتقد أن عندي رأياً خاصاً بي؟

- لم تتمكني قط من الوقوف في وجهها.

- بروس! أنت مهووس بهذه الفكرة وغير منصف أبداً. بالطبع أمي تهتم بنا.. فأنا وهي قريبتان كثيراً.

- هه! هذا تصريح عجيب!

رمت غالي المنشفة التي كانت تستخدمها:

- أرفض أن أناقش معك هذا! نحن ننبش أشياء قديمة.. وهذا لا طائل منه أبداً.

- أنت على حق، لم أقصد ذكر هذا أبداً.. ربما عاد الموضوع بمفرده.. كتكرار لحدث سابق.. الواقع أنني جئت إلى هنا وعندي حلول كثيرة وأردت أن أجسّد الصهر المثالي.

قهقهت ضاحكة: «لا أمل فيك».

راقبها وهي تضحك: «حاولي الوثوق بي».

وضع آخر صحن على الرف، مسح يديه، وتقدم نحوها.

- وماذا عنك.. غالي؟ هل لي أمل معك؟

خبت ضحكتها، ونظرت إلى عينيه بمزيج من الشوق والخوف. إن له سحراً وجاذبية، وفي نظرته طموح لا يستطيع أبواها فهمه أبداً. ولكن هذا الطموح هو الذي دفعه ليتخذ لنفسه مساراً ظناه مساراً سخيفاً غير مسؤول. ومجرد عذر ليغرق نفسه في حلم مجنون.. ولقد ربحت مقامرته بشكل ممتاز.. لكنه ما زال شخصاً لا يعتمد عليه، ومع ذلك فهي تحبه.. نعم تحبه..

قالت: «لا.. أدري.. لا أستطيع الإجابة عن هذا».

- هذا يعني أن لدي أملاً.. فأنت على الأقل لم ترفضيني أو تصديني.

حدق للحظات إلى عينيها وكان الضحك قد تلاشى عن وجهه وبدا جاداً.

قال بصوت منخفض:

- غالي.. أرغب كثيراً في معانقتك.

عليها أن ترفض.. أن تمنعه! أما قال لها إن لديها القوة لإيقافه عند حده. حاولت أن تهز رأسها رفضاً ولكنه لم يتحرك، وبدل ذلك ارتجف ثغرها، واشتعل شيء في عينيه، وانخفض ببطء حتى عانقها.

انطلقت مشاعر حارة سريعة في شرايينها.. ورفعت يديها اللتين راحتا تتحسسان ارتجافه المفاجئ.. تركت يداه الرف، وشدها إليه، وضمها بين ذراعيه، ثم تركها تلتصق به ببطء وبمحض إرادتها.

اضطرت للتمسك بكتفيه لتحافظ على توازنها، ثم التفت ذراعاها حول عنقه، وغرقت في أحاسيسها.. مرر يده على ظهرها ليضمها إليه أكثر فأكثر. فحاولت أن تصيح لكن صوتها اختنق في صدره.

همس وفمه في شعرها:

- غالي.. لا أريد النوم في غرفة الضيوف الليلة.

سحبت نفساً متكسراً لأنها أيضاً لا تريد منه أن ينام هناك..

ثم ناداها صوت أمها من الممر:

- غالي؟ غالي! تعالي وانظري.. بسرعة!

استجابت بسرعة البرق نازعة نفسها منه، ولكنها قبل أن تذهب حاولت تبريد وجنتيها المشتعلتين وتمليس شعرها الأشعث.

بدأ بروس يطلق شتائمه.. في هذا الوقت اقترب صوت السيدة تونير، فقالت غالي:

- أنا قادمة.. نحن قادمان أمي!

صرت على أسنانها بحدة في وجه ضحكته، واتجهت إلى غرفة

الجاسوس فلتحق بها وتوشوشها في أذنها:
- توقيتها دقيق .. دائماً.
تجاهلته.
كانت أمها تناديها لتخبرها بأن أحد كتبها الذي تتناول فيه بعض التحليلات الأدبية ربح جائزة أدبية. عندما انتهى الخبر، قال بروس:
- أهنئك .. لم أر التحليل، هل لديك نسخة؟
قال السيد توتنر: على رف الكتب هناك نسخة، وثمة نسخة أخرى في غرفة غالي .. خذ ما شئت.
- شكراً.
وقف يفتش في رف الكتب، فقال السيد توتنر:
- أنت فتاة ذكية غالي، ونحن فخورون بك.
مالت أمها إلى الأمام، وربتت على كتفها وقبلتها: «أهنئك».
- أنا مؤلفة من بين مئات المؤلفين وأنا أقلهم شأناً.
قالت الأم: «لكنه إنجاز رائع».
أضاف بروس بهدوء: أنا أوافق على هذا .. فهي سيدة موهوبة كثيراً.
نظرت إليه الأم دهشة: حسناً .. أنا سعيدة لأنك تدرك هذا.
احتج زوجها بلطف: روز!
رد بروس بهدوء:
- طالما أدركت هذا سيدة توتنر، ألا تذكرين .. أردت منها أن تترك عملها منذ سنوات لتفرغ وقتها للكتابة.
سخرت السيدة توتنر:
- بوضعك أفكاراً رومانسية في رأسها عن تجويع نفسها في العلية!
- ليس الأمر كما تتصورين .. فكرت في شراء منزل متنقل.
- وكيف كان لها أن تركز وهي تهتز في الطرقات الريفية؟
قال السيد توتنر:
- حسناً .. عفا الزمن عما قلت. وها هي ابنتنا ناجحة .. وأنت لست

سيئاً أيضاً بروس على أي حال.
- شكراً .. يبدو أنني لن أجد الكتاب.
قالت السيدة توتنر:
- آه .. تذكرت .. أعرته إلى شخص ما منذ أسابيع.
وقفت غالي: سأحضر النسخة التي في غرفتي.
قطع بروس المسافة القصيرة بينهما: لا .. لا! فيما بعد.
رأت النظرة في عينيه .. ورأت أمها تنظر إليها بقلق.
استحمت غالي، وكانت تستعد للنوم عندما سمعت طرقاً على الباب الذي سرعان ما انفتح .. تناولت روباً حريرياً أزرق، وكانت ترتديه عندما دخلت أمها.
- هذا أنت؟
ابتسمت الأم: أجل عزيزتي .. بالتأكيد أنا.
من عادة أمها أن تأتي إليها لتتبادل وإياها حديثاً خاصاً قبل أن تنام.
تابعت السيدة توتنر:
- بروس يستحم .. وسآخذ الكتاب لأضعه في غرفته إذا أحببت.
أقراها العرض، فلن يعرف بروس من وضع له الكتاب هناك، وستكون هذه رسالة واضحة تبين له فيها أنها لا تتوقع حضوره .. الآن لم تعد واثقة مما إذا كانت تريد منه أن يزورها.
لكنها طريقة جبانة للخلاص .. ولو رأى السيدة توتنر توصل الكتاب له، فلن يحسن هذا علاقتهما.
قالت بثبات: لا .. لا بأس أمي، سأعطيه إياه بنفسي.
تكورت شفتا الأم: «إذا كنت واثقة ..».
- أجل أمي.
تنهدت المرأة: هل تعرفين ما ستقدمين عليه؟
- الواقع أنني .. لا أعرف شيئاً .. أنا مشوشة الذهن .. ولكنني يا أمي امرأة راشدة، ويجب أن أتخذ قراراتي بنفسي. أقدّر لك قلقك عليّ لكنني

لن أستطيع العودة إليك راكضة طلباً للنصيحة كلما اصطدمت بما يعيق طريقي.

- بل تستطيعين! نحن والدك! ويمكنك الاعتماد علينا.

- أجل.. أعرف هذا.. وأنا شاكرة لك.. لكن هذا أمر يجب أن أعمل عليه بمفردي.. في بعض القرارات لا يقدر أحد على تقديم المساعدة، بل على المرء أن يتخذها بنفسه.

بدا الارتباك في عيني الأم:

- ستعودين إليه.. أليس كذلك؟

تنهدت غالي: «لا أعرف.. أمي.. حاولي أن تفهمي.. قلت له اليوم إنني كنت سعيدة من دونه ولكنني واقعاً لم أكن سعيدة، لقد تجاوزت ذلك الوقت الرهيب البائس، ومنذ ذلك الوقت وأنا امرأة نصف حية.. وهذا ما لم أكن أدركه. وها أنا الآن كشخص فوق دولاب عبارة النهر الذي يرتفع إلى الأعلى ثم يهبط إلى قاع النهر، ثم يرتفع إلى مستوى الأرض.. أدور وأدور وأنا غير قادرة على النزول عنه.. وليس هذا فحسب بل أشعر أحياناً بأنني مريضة نفسياً بسبب ما يحدث لي. إنه يثير عواطفي ومشاعري، أعرف أن لي هذا مخاطرة ولكن لا بد من اعتلائها لأرسو على بر.

سخرت الأم منها:

- مجرد جاذبية جسدية! هذا كل شيء.. لقد سحرك بجاذبيته.. كما سبق أن فعل.

هزت غالي رأسها نفياً:

- لم أشرح لك الأمر جيداً.. هذا جزء من المسألة، نعم ولكن ما أشعر به هو أكثر بكثير من علاقة جسدية. لا أدري.. معه أشعر بأن عندي طاقة للحياة.. وطالما جعلني أشعر بالإثارة فكرياً وجسدياً، والواقع أن أفضل ما كتبته كان عندما كنت أعيش معه.. حتى الكتاب.. كتبت ملاحظاتي عنه قبل أن يسافر.. ومع أننا في النهاية لم نكن سعيدين ولكن مجرد وجوده كان يدفعني إلى العمل.

- لا يمكنك الوثوق به.

ردت غالي ببطء:

- ربما لا.. ولكنني أعتقد أنني سأحتاج إليه.

- آه! غالي! لقد أتعستك!

اغرورقت عينا الأم.. فوضعت غالي يدها حول كتفي أمها:

- لا، لا تبكي.. لا تبتئسي.. لا تقلقي عليّ.. سأحل مشاكلي.

تناولت منديلاً من جيبها، نفخت فيه أنفها.

- هذا ما أعتقده.. إنما أتمنى أن تتذكري..

- أتذكر.. صدقيني.. لم أنس شيئاً.. في أعماقي ما زلت غاضبة منه.. ولا أعرف ما إذا كنت أستطيع التغلب على هذا الشعور.. وإن لم أستطع أن أغفر له، فسيدير كل واحد منا للآخر ظهره.. ولكن ربما كنت غير واقعية وتوقعت الكثير.. قال.. إنني أحمل في نفسي صورة عن الرجل المثالي وأنه لم يكن على قياس الصورة، وأن لا أحد قادر أن يكون على القياس.. وربما هو على حق.

- عزيزتي.. بنيت له صورة في رأسك وكأنه بطل ما..

- أجل.. ولم يكن هكذا.. لذا ربما عليّ أن أتقبل واقع أنني تزوجت رجلاً عادياً له عيوب وبذلك أعطي زواجنا فرصة أخرى.. على أي حال، لا أحد قادر على مساعدتي في اتخاذ هذا القرار حتى أنت.. فهذا بيني وبينه.

نظرت أمها إليها بيأس:

- لا أستطيع منع نفسي من القلق، لكنني سأحاول عدم التدخل.

وتنهدت تنهيدة عميقة.

سمعتا طرقاً خفيفاً على الباب، فمسحت السيدة توتنر دموعها بسرعة ودست المنديل في جيبها.

فتح بروس الباب ووقف هناك.. كان شعره رطباً من الحمام وكان يرتدي روب منشفة أسود. نظر إلى غالي وارتفع فمه عند الطرفين قليلاً..

www.rewity.com
WWW.REWITY.COM

ثم انتقلت نظرته إلى الأم.. واستقامت الأطراف مجدداً.

قال بشيء من السخرية: سيدة تونتز.

اشتدت يدها على المنديل في جيبها، وقالت بصوت خال من أي تعبير:

- جئت أتمنى ليلة سعيدة لغالي.

هز رأسه ودخل إلى الغرفة ووقف خلف الباب وكأنه يودعها.. ثم قال بلهجة ذات مغزى:

- ليلة سعيدة.

نظرت غالي إليه بغضب، أما أمها فتجاوزته بصمت.. أقفل الباب وراءهما بحدة، ثم ارتدّ ليستند إلى الخشب عاقداً ذراعيه.

ضاقت عيناه وبرقتا وهو يسأل:

- وماذا.. أرادت أمك العزيزة.. أن تقول.. عدا ليلة سعيدة؟

* * *

٥ ـ كيف بدأ الألم؟

صاحت غالي التي تورّد وجهها دفاعاً: لا تسخر من أمي!

رفع حاجبيه:

- لا أحلم بهذا.. بل أنا أكن أكبر الاحترام لهذه السيدة.. لا شك أنها تمكنت من تغيير مزاجك.. هل تركت مكنستها هنا في مكان ما؟

هذا كثير.. لقد ارتفع دولاب العبارة مرة أخرى.. الآن لم تعد قادرة على فهم ما جعلها تحبّه. إنه عنيد وغير منطقي.. وغيور بشكل واضح..

ارتدّت عنه وأخذت كتاب التحليل الأدبي من بين عدة كتب أخرى على الطاولة قرب السرير:

- هذا ما جئت لأجله.. أليس كذلك.

ارتدت تواجهه وهي تمسك الكتاب بيد ممدودة:

- خذه إذن واخرج من هنا.. رجاء.

ابتعد عن الباب ببطء وفي عينيه تهديد كاد يجعلها تخطو إلى الخلف لولا وجود السرير وراءها.

تناول الكتاب الذي أخذ يقلّبه وينظر إليه، ثم رفع عينيه إلى وجهها والقى قنبلته:

رمى الكتاب على السرير:

- لا.. هذا ليس سبب مجيئي، وتعرف أمك هذا أيضاً.. لهذا جاءت إلى هنا.. لتضع عصا في الدواليب. أرادت إقناع ابنتها الحبيبة بعدم مغادرة زوجها الشرعي الفراش.

- لم يكن الأمر كما تقول... ولا حق لك.

- أنا واثق أنها لم تتكلم بمثل هذه القسوة... ثم لي كل الحق! لقد أرادت بكل تصميم أن تنفصل..

- هذا غير صحيح... تعرف أن ما تقوله غير صحيح

تجاهل كلامها:

- ملعون أنا إن سمحت لهذا بأن يتكرر... ولهذا أصررت على مرافقتك... فعندما أكون موجوداً أستطيع أن أتأكد أنها لن تحصل على ما تريد.

صاحت وغضبها يتفجر، مختلطاً بألم ممزق لأن الوعد والتفاهم الرقيق بينها وبين أمها قد انتهى بمثل هذا الحقد المؤلم: «هلا صمت؟»

رد مطبق الشفتين:

- حسناً... ربما يجب أن أفعل ما تقولين... آخذ ما جئت من أجله وأخرج.

عندما ارتفعت يداه، رفعت يدها لتصفعه بقسوة فجعلته صفعتها يرتد إلى الوراء... ثم حاولت الهرب، ولكنه أمسكها، ورماها بقسوة على السرير وثبتها هناك... رأت أن غضبه يماثل غضبها وأن أنفاسه متسارعة.

لهثت قائلة: «سأصرخ»

- أصرخي إذن.

عندما انخفض رأسه شهقت باكية: لا!

أطبقت أسنانها... ولكن قبضته عليها اشتدت وارتفعت يده إلى شعرها يجمعه بقسوة مهدداً... ولم تجرؤ على عضه... ولكنها استخدمت كل قوة إرادتها لترفض التجاوب معه... وظل جسمها جامداً!

بعد وقت طويل، رفع رأسه ونظر إليها بعينين زرقاوين ضيقتين وقاسيتين... كانت تكاد تختنق بمزيج متوهج من الغضب ومشاعر لم تكن تريدها.

قال برقة: «لماذا لا تستسلمين غالي؟»

فتجمدت وأخذت تتلوى وتهز رأسها يمنة ويسرة

رفع رأسه: كفي عن هذا! لا تكوني سخيفة!

قالت بصوت أجش:

- لا أستطيع إيقافك... ولن تكون المرة الأولى، أليس كذلك؟

جمد... ونظر إليها... ثم قال:

- يمكنك إيقافي... بكلمة واحدة.

فتحت ثغرها ثم بذلت جهداً ليخرج صوتها من بين شفتين جافتين...

أخيراً همست: «اذهب»

كان يوم الأحد رمادياً بارداً وكانت زخات المطر الضبابية تخفي التلال خلف المزرعة. إنه طقس غريب في مثل هذا الوقت من السنة ولكنه كمزاجها عكر، مضطرب... ذهبت غالي إلى الكنيسة برفقة أبويها، وعندما عادت وجدت بروس واقفاً على الشرفة متجهم الوجه، مبلل الشعر والثياب.

قال: خرجت أتمشى... يبدو أن هناك خروفاً يواجه المتاعب... دان في أحد المراعي البعيدة لذا لم أستطع اللحاق به... الخروف يعرج... وأظن أن هناك شريطاً شائكاً حول قائمته.

بدأ السيد نوتنر يخلع سترته وهو يدخل إلى المنزل.

- سأذهب لألقي نظرة.

سأله بروس: «هل أستطيع المساعدة؟»

دلت النظرة التي بدت على وجه الأب بأنه يشك في هذا، لكنه قال: «إذا أحببت».

غابا أكثر من ساعة، وعندما عادا وجدا المرأتين تحضران الغداء... ولكن غالي تجنبت بأكبر قدر ممكن النظر إلى بروس... غادرا بعد الظهر باكراً، وفيما كانت تلوّح لوالديها فكرت في أن عليها مواجهة ساعتين بمفردها مع بروس في السيارة.

قاد بصمت فترة... ثم قال:

ـ حسناً مع عودة الشهر المبذر، لم يكن ما جرى مجاناً؟

ـ وهل يهمك؟

قال عن غير توقع منه: أجل... يهمني.

تمتمت: «لا أرى السبب... فأنت لم تكن تهتم من قبل».

ـ أهتم لأن أمرها يهمك... ونحن «الآن» وليس «من قبل». إنها لعبة مختلفة.

سمحت لريبتها بالظهور: «حقاً؟»

ـ كان والدك على استعداد لتعليق الحكم المسبق.

ـ إذن يجب أن تحذو حذوه مع أمي.

لوى رأسه وكأنه يفكر في نقطة ما:

ـ سأبذل جهدي.

ـ وعدتني بعدم التدخل في أمري... وكان ذلك قبل أن تدخل إلى غرفتي مباشرة ليلة أمس.

أخفى ردة فعله بسرعة... لكنها رأت عدم التصديق في تعابير وجهه... فصاحت: «آه، ما الفائدة؟»

ـ لم أقل كلمة.

ـ لا حاجة بك إلى قول شيء فأنا أرى ما تفكر فيه.

ـ حسناً... لن أعلق.

كان ينظر إلى الأمام وشفتاه مطبقتان بشدة. تنهدت بسخط وأغمضت عينيها متظاهرة بالنوم... تعرف أن لديه ما يبرر ردة فعله وشكه بسبب الماضي... ولكنه يبالغ. لقد سبق أن تدخلت أمها ولكنها تدخلت بدوافع طيبة... عندما دخل بروس إلى حياتها... كانت صغيرة جداً، في السابعة عشرة... لذا لا تستغرب موقف والديها الطبيعي.

أما بروس آشلي فكان في الثانية والعشرين، لقد ترك الجامعة منذ سنتين قبل أن ينهي دراسته في العلوم الطبيعية ليسافر مع جماعة من الأصدقاء إلى أوستراليا وآسيا، وأفريقيا، وأوروبا... وكانوا قد طافوا

حول العالم بسيارة جعلوها بيتاً متنقلاً، وهم يعملون وظائف مؤقتة حين تسنح لهم وما أكثر ما تعرضوا لمغامرات يقف لها شعر الرأس... ولكنهم كانوا يصورون كل شيء بكاميرا سينمائية مستعملة وكانوا يأملون بيع نتاجهم إلى التلفزيون... لكن في طريق العودة من الشرق الأوسط، صادفوا متاعب على أحد الحدود، وواجهوا شرطة متوترة يبدو أنها كانت مقتنعة أنهم جواسيس... فزجوهم في السجن ليلة وصادروا الكاميرا وكل الأفلام.

كان بروس قد قال لغالي:

ـ لم نعد نرى الكاميرا ولا الأفلام، فقد فتحوا باب الزنزانة في الصباح وركلونا إلى الخارج... وهددونا بالعودة إلى السجن إذا أثرنا أية متاعب. بعد ذلك رموا جوازات سفرنا لنا وأكياس الثياب والكتب، لكن الكاميرا والأفلام لم تعد.

ـ أولم تستطيعوا استعادتها؟

ـ حاولنا... لكنهم عاملونا بقسوة... وفي النهاية استسلمنا... لأن ذلك البلد كان على شفير حرب أهلية دموية، نحن نحمد الله لأننا نجونا بجلدنا.

يومذاك بدت القصة مثيرة جداً لغالي... والشاب الأسمر الغريب الملتحي الذي جاء إلى المكتبة بحثاً عن كتب في صناعة الأفلام كان مثيراً للاهتمام. فعندما ساعدته في التفتيش شعرت بالسرور لأنه سألها أن تمضي معه فرصة الغداء.

ابتسم لها قائلاً: أنا آسف لأنني لا أرتدي ثياباً تناسب مطعماً فاخراً، لكنني أعرف مقهى يقدم طعاماً لذيذاً... وهو نظيف... لو عرفت أنني سأقابل شخصاً مثلك لحلقت لحيتي.

لم تكن تلك المرة الأولى التي تتلقى فيها مديحاً، وهي تعرف أنها جميلة... لكنه بدا لها أكثر حنكة وحكمة من الشبان الذين عرفتهم، وابتسامته جعلتها تدرك أنه وسيم بشكل غير عادي تحت لحيته، وأعجبت

به.. وما إن ناقشا أمر الكتب التي وجدتها له حتى أظهر ذكاء وإحساساً بالمرح..

ردت عليه مبتسمة: شكراً لك.. أقبل دعوتك.

في المقهى أخبرها قصة سفره وكان ذلك بعدما سألته:

- ماذا تفعل في تايمز؟

- الوظائف صعبة المنال.. وبما أن فكرة الفيلم لم تنجح أراني مضطراً للبحث عن وسيلة للعيش.. كنت أعمل في ورشة عندما تعرفت إلى شاب أخبرني أن صيد الغزلان البرية في منطقة «كوروماندل» يكسب المرء مالاً وفيراً.. فلحوم الغزلان مطلوبة في فنادق السواح.. ولقد قرر بعضنا تجربة هذا.. قد يكون على حق، لكنني غير بارع في الصيد.. وكنت أفكر في توضيب أمتعتي والعودة إلى أوكلاند.

- وهل هناك ما غير رأيك؟

لم يبتسم: أجل.. مقابلتك.. أنا لا أقول شيئاً لا أعنيه.

هزت رأسها نفياً فأردف:

- هل يعني هذا أنك لا تريدين مني أن أبقى؟

- لا.. لا أعني هذا!

قال: هل أستطيع رؤيتك الليلة؟

- لست مشغولة.

- عظيم.. ماذا ترغبين إذن أن نفعل؟ العشاء؟ فيلم سينمائي؟

بدا كثير الاهتمام بالأفلام.

قالت: «أفضل أن أشاهد فيلماً»

- سنتناول العشاء أولاً.. أو فيما بعد، أو الاثنين معاً كي نتكلم.

ضحكت: لا يمكنك تحمل هذه النفقات.

- بل أستطيع.. لقد بعت للتو غزالين.. وهذا ما كنت أفعله هنا عندما أفلس أعلمك بالأمر.. وعندئذ يأتي دورك لتدفعي.

سرت كثيراً لأنها عرفت أنهما سيبقيان على اتصال..

تمكنت أن تقول: حسناً.. سألزمك بهذا الوعد.

ارتاع والداها عندما سمعا بالأمر فهو شخص غريب كلياً. ولكن غالي احتجت قائلة إنها تستطيع التمييز بين الأشرار والطيبين.

- حسناً.. سنرى من هو حين يأتي ليأخذك.

دعت غالي الله لئلا يأتي بروس بالثياب التي كان يرتديها عندما التقت به، ولكنها ستخرج معه على أي حال.. ارتدت بلوزة زرقاء جميلة وتنورة طويلة ذات حزام عريض خاص بها.. وهي واثقة أنه مرافق آمن كما أنه من النادر أن تلتقي شخصاً مثيراً مثله، ولا تنوي تقويت أمسية مثيرة بسبب حذر والديها.

ما إن وصل حتى رأت أنه شذّب اللحية فتبين لها إنها لم تكن مخطئة بشأن مظهره.. ومع أنه كان يرتدي جينزاً وقميصاً ولكنه جينز جديد وقميص جديد.

بدت على وجهه النسلية وهو يرى والديها يتحققان منه عبر الأسئلة الكثيرة التي طرحاها، ثم بدا منكباً على تقديم صورة لهما عن وضعه غير المستقر في سبيل النسلية ليس إلاّ.

استمتعت بالفيلم وبالنقاش الذي دار حوله خلال العشاء الذي تناولاه في وقت متأخر.. كان يعرف الكثير عن التفاصيل التقنية.. وبعد قليل ضحكت قائلة:

- لا حاجة بك إلى هذه الكتب التي أخذتها هذا الصباح! لماذا أنت مهتم بهذا إلى هذه الدرجة؟

- لا أعرف.. لقد فتنت بتقنية التصوير في الرحلة التي أخبرتك بها.. وكنت أفكر منذ عودتي أن هذا ما أريد فعله حقاً.. صناعة الأفلام.

ضحكت غالي:

- هكذا؟ وأي نوع من المؤهلات تملك؟

ضحك هو أيضاً: «لا شيء إلا ما تعلمته في الرحلة».

ضحكت مجدداً: ولا يمكنك حتى إظهار الفيلم للناس! لقد ضاع.

- لكن هذا ما أريد. أن أشارك في صناعة الأفلام. وأنت؟ أتشعرين بالاكتفاء في عملك في المكتبة؟

ساعتئذ، ولو أنها نادراً ما كانت تتكلم خارج عائلتها بالموضوع، اعترفت بطموحها للكتابة.

قال: «وكأنك تعتذرين. لماذا؟»

قالت بصوت مرتبك:

- حسناً. تعرف أن الناس يظنون هذا غريباً.

- ليس غريباً. بل هو رائع. وهل أنت جيدة؟

- لا أعرف. لقد كتبت قصتين صغيرتين نشرتا في مجلة ولكنني تلقيت ردوداً بالرفض كثيرة.

- أحب أن أقرأ بعضها.

- بإمكانك قراءة القطع المنشورة. وليس الأخرى.

- ولماذا ليس الأخرى؟

- أشعر بالخجل منها. هذا كل شيء. لم يقرأها أحد غير أمي.

- فهمت. ألديها القدرة على النقد؟

ابتسمت خالي:

- أوه. هي ليست ناقدة. بل تعتقد أن كل ما أكتبه رائع. وهذا ما يعطيني الثقة لأرسلها إلى رئيس تحرير المجلة!

* * *

سألها بروس فجأة: فيمَ تفكرين.

- لا شيء.

- أصدقك. هذا شيء هام.

- لا شيء هام.

أحست بالذنب لأن لقاءهما الأول لم يكن قط غير هام. فلقد غيّر حياتيهما معاً.

نظر إليها: أفكر في الفيلم. في قصتك، عندما يسافر الرجل إلى

الحرب، ويضطر إلى قتل أعدائه من الرجال، دفعت بفكرة تجول في خاطره عن صيد الغزلان في موطنه وحاول إنكار واقع ما يفعل بمقارنته بصيد غزال بري.

- أجل.

- حسناً. إنها نقطة تتكلم عن نفسها. ومهمة من أجل تطورات لاحقة. ولكننا لن نستطيع إيصال أفكاره أو على الأقل أفكار محددة كهذه إلى المشاهدين.

- وهل سيفعل الحوار هذا؟

- كيف؟ هل ستجعليه يلتفت إلى الرجل الذي إلى جانبه وهو يطلق النار ليقول: هاي، هذا شبيه بصيد الغزلان في موطني نيوزيلندة؟

ابتسمت رغماً عنها. بل سأكون أكثر ذكاء من هذا. ربما سيجري نقاش بين الرجال عن مشاعرهم. وقد يدلي برأيه كنوع من التبرير.

هز رأسه: «لا.. لا أرى أن هذا سينجح. في السينما، يجب إظهار المشاعر، لا قولها. يجب أن نصور صيداً للغزلان».

- ليس في الكتاب شيء عن الصيد.

- أعرف. لكن الفكرة تدور في رأس البطل.

- بسرعة فقط. وتنتهي في ثوان.

- ثوان مهمة كثيراً. إنها الطريقة الوحيدة لنجاح اللقطة. ألا ترين هذا؟ نحتاج إلى لقطة سريعة لتظهر ما يتذكره عندما يضغط على الزناد. ولن يفهم المشاهد شيئاً إن لم يرَ مسبقاً مشاهد الصيد الأصلية. المطاردة والقتل.

- أكره الفكرة!

- وأنا لا أحبها. ولكنها ضرورية. لا شيء مثل هذا سينجح بقوة في عالم الصور.

- لكن لا بد من وجود طريقة أخرى بالتأكيد.

- فكري في وسيلة ما.

- حسناً .. أعتقد أننا نستطيع تزييفها
- إنه أمر صعب وغير مقنع
- لن أسمح بقتل حيوان مسكين في سبيل فيلم كما أن جمعية الرفق بالحيوان، لن تسمح بهذا.
- قد نرسل مصوراً مع بعض الصيادين للحصول على اللقطات التي نحتاجها.. خاصة إذا وجدنا صياداً يشبه الممثل.
قالت مستاءة: «قد تقدم على أي شيء في سبيل فيلم رائع.. أليس كذلك؟»
- تقريباً.. لكنني لا أريد أن أصور عملية صيد حقيقية.
لم يتمتع عندما كان صياداً.. فعندما أخبرها أنه غير بارع في الصيد ظنت أنه يجد صعوبة في إيجاد الطريدة وقتلها.. ولكن الأمر لم يكن هكذا، فهو كما قال، كان يشعر بالسقم من العملية كلها.. فقد كان الصيادون يستخدمون الكلاب والسكاكين.. مع أن معظمهم كان يحمل البنادق للطوارىء، فالغزلان مسلحة بالقرون المخيفة.. أخبرها أن الفكرة راقت له في البداية، فالغزال المحشور خصم خطير بقرونه ولكن المعركة بين الكلاب والحيوان كانت دامية دائماً حتى يتمكن الصياد من الإطباق عليه بسكينه الطويلة، ليقطع عنق الغزال.. ولقد تخلى بروس عن هذا العمل بعد لقائه بغالي، وبقي بلا عمل لفترة.
بالنسبة للأبوين توتنر، كانت الرحلة التي قام بها بروس مع أصدقائه برهاناً على عدم استقراره وعلى عدم قدرته على تحمل المسؤولية.. فهو تخلى عن تعليمه من أجلها. واكتشفت غالي أن علاماته في الجامعة كانت مرتفعة قبل أن يقرر أن العلم الحقيقي هو في العالم الواقعي، وليس في الكتب والمحاضرات.
لم يحاول بروس أن يحسن أول انطباع أخذه والداها عنه.. كانت السيدة توتنر دائمة الحذر منه، ولم تخف هذا قط.. ولم تخف أيضاً ظنها بأنه غير مناسب ليلعق حذاء ابنتها.. ونظر إليه السيد توتنر بازدراء لم

يخفه قط، ولم يكف عن سؤاله عما يعمل أو إن وجد عملاً.
قالت له غالي وهو يتذمر لها:
- إنهما لا يعنيان شيئاً.. فهما لا يعرفانك، هذا كل شيء.. ويجب أن تعترف أنك لا تقدم لهما يد المساعدة.
- المساعدة؟
- حسناً.. أنت تمثل أمامهما دور الكسول العاطل عن العمل
رد ببراءة: أمثل؟ ماذا أمثل؟
- تعرف جيداً.. تتعمد دفعهما إلى الظن بأنك لا تهتم بالعمل.
ضحك: «وما الذي يجعلك تظنين هذا؟»
ترددت ثم قالت بحزم: «أنت شخص نشيط لذا لا يمكن أن تكون من الأشخاص الذين يكرهون العمل.. نعم أنت تدقق في اختيار عملك وأنت أكثر استقلالية لتعتمد على المساعدة الحكومية.. أنت تأخذ إجازة.. فرصة تفكر فيها بحركتك القادمة.. هذا كل شيء»
نظر إليها باحترام:
- المشكلة أن لا فكرة عندي عن الحركة القادمة.
صمتت لدقائق.. ثم قالت بأسى:
- ليتك تجد عملاً.. أعرف أن لا شأن لي بهذا. ولكن..
- لكن.. ماذا؟
- لا شيء.. لكنني على صواب، أليس كذلك؟ أنت لا تريد حقاً البقاء عاطلاً عن العمل إلى الأبد.
- وهل يهمك هذا؟
هزت رأسها، بالتأكيد لا يهم.. فهي مؤمنة به.. مهما كانت آراء والديها به..
ردت: «الأمر يتعلق بي»
نظر إليها نظرة ماكرة، ثم سأل من بين أسنانه: أو بأمك؟
بعد ذلك بأسابيع قال لها:

ـ أنا عائد إلى أوكلاند . فهل ترافقينني؟

كانا مستلقيين على الشاطىء، في مكان منعزل بين صخرتين كبيرتين . . كانت الشمس تلهب الرمال والبحر يرتفع ثم يتراجع.

وخفق قلب غالي وهي تقول: «أرافقك؟ ماذا تقصد؟»

مد يده يلامس خدها: «يمكننا أن نتزوج»

ـ نتزوج؟

استوت فجأة وجلست وجسمها غارق بالرمل.

ـ ولمَ لا؟ ألن يعجبك هذا؟

ـ بلى . . لكن والديّ لن يسمحا لي

تعرف أن والديها غير موافقين على خروجها معه وهو يعرف هذا أيضاً . لكنه لم يقل شيئاً . . فعندما كان يلقاهما كان يتصرف بتهذيب . . لكن الضحك لم يكن يفارق عينيه.

قال برد عليها: «يجب أن نقنعهما»

لا، هذا أمر مبؤوس منه . . فهي لم تبلغ الثامنة عشرة حتى.

قال دان: يجب أن تفهم . . إن المسألة غير موجهة ضدك . . لا أب يسمح لابنته بالزواج وهي في هذا السن بشاب عاطل عن العمل، لا يملك بيتاً ولن يملك بيتاً ربما.

نظر بروس إليه طويلاً:

ـ إن حصلت على عمل . . ومنزل . . فماذا إذن؟

قال دان: «حسناً . . سنرى»

قالت الأم بسرعة: لن تستطيع الزواج! إنها صغيرة.

نظر إليها بروس مفكراً . . ثم إلى زوجها . . بعد ذلك مد يده إلى غالي الجالسة إلى جانبه متوترة وشاحبة فوضعت يدها في يده التي شدت عليها حتى الألم

قالت: «يمكنك أن تخطبني . . أليس كذلك؟»

نظر بروس إليها بسرعة، وقالت أمها ساخرة:

ـ هو غير قادر على شراء خاتم لك . . ألا تفهمين هذا! إنه حب أطفال!

حاولت غالي الاحتجاج . . ولكن بروس سبقها

ـ لا . . لا خطوبة.

صدمها جوابه فارتدت إليه، متسعة العينين، متألمة . . لم يشرح لها شيئاً بل قال لأمها بقسوة

ـ حسناً . . نعرف ما هي مشاعرك . . وشكراً لأنك أوضحتها لنا . . عذراً . . يجب أن أغادر غالي . . هل ترافقينني إلى الخارج.

رافقته إلى الشرفة ومنها على السلم القصير إلى سيارة اللاندروفر التي يقترضها من أحد أصحابه . . كانت يدها في يده . . فنظرت إلى وجهه لترى أنه قاس خال من أي تعبير تقريباً.

اختلطت عليها مشاعرها بشكل غريب . . أحست بخيبة أمل مريرة وبدهشة رهيبة لأن بروس لم يكافح من أجلها.

سألته ضائعة: «ماذا سنفعل؟»

نظر إليها مكتئباً: هل تأتين معي على أي حال؟

ـ لن يكون هذا قانونياً . . أليس كذلك؟

ـ يجب أن تكذبي بشأن عمرك . . لكن سيأخذوننا إلى المحكمة فيما بعد بسبب هذا.

أحست غالي بالسقم:

ـ لا . . لا أستطيع . . لا أستطيع الإقدام على هذا فسينحطم قلباهما . . لماذا لا تخطبني؟ أنا واثقة من إقناعهما . . مهما طال الأمر . .

رد بفظاظة: «إنهما على حق . . أنت صغيرة جداً»

صاحت مصدومة: «إذن لماذا طلبت مني أن أهرب معك؟»

ـ لأرى ما تقولين.

انتزعت يدها منه . . وقالت:

ـ أتعني أنك كنت تختبرني؟ حسناً . . أنا آسفة لقد فهمتك بشكل

خاطئ».

أمسك كتفيها ثم ضمها إليه، تبادلا العناق دون أن تكترث بأن يراهما والداها... لا شيء يهم إلا حب بروس... ولا شك أنهما سيحلان هذه المشكلة معاً إذا أقنعته أن يصبر.

دفن رأسه في عنقها وذراعيه تضمانها بشدة:

ـ لن ينفع هذا حبيبتي... لن ينفع.

تسللت الدموع إلى وجنتيها:

ـ سينفع... إذا كنت تحبني بما فيه الكفاية.

ابتسم ابتسامة متكسرة:

ـ أو إذا كنت تحبينني أنت بما فيه الكفاية... إذا كنت صادقة واعترفت أنك ارتحت حين قال والداك لا.

همّت بالإنكار، لكنه وضع إصبعه على شفتيها.

ـ هذا صحيح... رأيت النظرة على وجهك... أنت غير مستعدة حقاً للزواج بي... لهذا تريدين فترة خطوبة، كفرصة للتنفس.

أبعدت شفتيها عن إصبعه، لكنه أضاف:

ـ لا بأس... لا تبكي... إنهما على حق في شيء واحد... أنت صغيرة... كان عليّ أن أعي هذا وما كان بيننا رائع غالي.

أصدرت صوتاً غير مفهوم، وتمسكت بمقدمة قميصه خائفة من كلامه الذي يستخدم فيه صيغة الماضي:

ـ لا تقل هذا وكأن كل شيء انتهى.

أضاف دونما شفقة:

ـ لا أريد لهذا أن ينقلب إلى شيء بغيض لكلينا... ولسوف يحدث هذا.

ـ كيف يمكن؟ أنا أحبك!

ـ أنا في أوكلاند، وأنت هنا مع والديك...

ـ بإمكاننا التراسل والتخاطب هاتفياً... وسنلتقي في العطل

الأسبوعية.

ـ وهل تظنين أنهما سيسمحان بهذا؟ وسيجدان الوقت لتغذية أفكارك بالشكوك ضدي.

ـ لن أصغي إليهما... وسنبقى خطيبين! لن يستطيعا إيقافنا عن الوعد.

هز رأسه: «نصف رغيف؟ لا... شكراً».

ابتعدت عنه شاحبة، متألمة:

ـ أنت تحاول التخلص مني... أليس كذلك؟ أنت لا تريد الزواج بي أبداً... قلت هذا لأنك تعرف أنني لن أرافقك ما لم نكن متزوجين... والآن أنت سعيد لخلاصك مني؟ لا أظنك قلقت عليّ قط... أردت فقط أن تكون حراً لتجد لنفسك فتاة أخرى تعطيك ما تريده حقاً! حسناً... هيا اذهب... أنا لا أهتم أبداً!

ارتدت على عقبيها راكضة نحو المنزل... لكن ما إن وصلت أعلى سلم الشرفة، حتى أمسك بروس بمعصمها وشدها إلى الوراء فوقعت بين ذراعيه. كان وجهه قاسياً وعيناه تلمعان غضباً... قاومته بخوف مفاجئ، والدموع تحرق وجنتيها وحنجرتها جافة وصدرها يكاد ينفجر.

ثم تركها... وكانت غير قادرة على الكلام، وكان وجهه أبيض.

قال: «وداعاً غالي».

ما هي إلا خطوتين حتى وصل إلى اللاندروفر وقفز وراء المقود وشغل المحرك، واتجه بالسيارة نزولاً في الطريق الداخلية، دون أن يلقي نظرة إلى الوراء.

ركضت غالي إلى المنزل، متجاوزة أمها التي لحقت بها إلى غرفة نومها.

ـ عزيزتي!

رمت غالي نفسها على السرير ناحبة... فأردفت الأم.

ـ إنه لا يستحق كل هذا... صدقيني

تلمست شعرها بلطف:

ـ هوني عليك عزيزتي.. ستتجاوزين هذه المحنة. أعرف إنك تظنين أن قلبك تحطم، ولكنك ما زلت صغيرة. قريباً تجدين من هو أفضل منه.

تبين لها أن أمها على حق، ولو جزئياً على الأقل. كان هناك غيره، لكن لم يثر أي واحد منهم اهتمامها.. فلم يقدر أي شخص على جعل دمها يغلي من مجرد لمسة.. أو أشعل مشاعرها بنظرة.. أو أضاف بعداً جديداً لحياتها بمجرد وجوده.. لا أحد مثل بروس آشلي.

* * *

٦ ـ لا أريد حريتي

بعد سنتين على فراقهما.. التقته ثانية ولم يتغير شيء..

كانت في ويلنغتون تكمل تدريبها على إدارة المكتبات وكانت تسير في شارع لامبتون كواي في خلال إحدى عواصف المدينة الهوجاء. وبما أنها لم تكن بارعة في السير محنية الرأس أمام الريح، كادت تصطدم بامرأة تجر ولداً. لكن يداً أمسكت ذراعها لتوقفها وأتاها صوت تتذكره جيداً:

ـ غالي!

كان حليق اللحية.. لكنها تعرفه مهما تغيّر شكله.. وكان صوته وعينيه ما زالا كما كانا.. نظرت إليه مخدرة المشاعر حتى اصطدم بها شخص واعتذر بنفاد صبر.. فقال بروس لها: «سنجد مكاناً نتكلم فيه».

اقتادها إلى مقهى قريب.. تتصاعد منه رائحة القهوة اللذيذة.

ـ قهوة؟

هزت رأسها إيجاباً.. لكنها كانت تقول لنفسها إن عليها الخروج لأنها تشعر بالخوف من مشاعرها.. فها هي نبضاتها تقفز في كل مكان.. عندما جلس قبالتها على الطاولة الصغيرة، استطاعت أن تشم رائحة بشرته، وتشوقت أصابعها لملامسته.

ضحك برقة ومد يده ليغطي أصابعها.. فسرت في ذراعها قشعريرة تشبه التيار الكهربائي.

أمسكت نفسها وسحبت يدها من يده وقالت:

ـ ليس بيننا ما يقال.

تغيرت نظرة عينيه وأصبحت حذرة

ـ بمكنك أن تبدني بإخباري عما تفعلين في ويلنغتون؟

أخبرته باختصار . فقال : أما زلت تسكنين مع والديك؟

ـ أجل .

ـ وهل لديك صديق؟

رفعت بصرها إليه ، وتحرك ألم جرحها . لا يحق له أن يسألها هذا السؤال؟ أجابت إجابة حاولت أن تكون عفوية :

ـ عدة أصدقاء

ابتسم وكأنه يزن ردها . فسألت

ـ وأنت؟ هل وجدت عملاً؟

ـ ليس في الوقت الحاضر . انتهيت للتو من العمل في فيلم . .

ـ إذن عملت في الأفلام فعلاً . . ما طبيعة عملك؟

ـ لا شيء هام . حتى الآن . لكنني أتعلم كثيراً .

ـ منذ متى بدأت العمل في صناعة الأفلام؟

ـ منذ سنتين . . ولقد مثلت بعض الأدوار وقمت بأشياء أخرى كالتصوير . . وما بين هذا وذاك ، كنت أعمل في أعمال معينة لأبقي جسدي وروحي متماسكين ولأملأ الفراغ . أو أعيش على الإعلانات الحكومية التي تخصصها الدولة للعاطلين عن العمل . . وهذا ما لا يمكن لوالديك أن يعتبروه عملاً ثابتاً

ـ أولم تتزوج؟

ـ لا . . لم أتزوج .

أمسكت فنجان القهوة بين يديها وأشاحت بوجهها بعيداً .

قال بصوت منخفض : «هل أنت مسرورة لهذا؟»

ـ لا شأن لي .

ـ إنه شأنك إن أردت .

سكبت بعض القهوة ثم وضعت الفنجان من يدها لتمسح يدها

والطاولة بمنديل ورقي . .

سألها : «كم أصبح عمرك؟»

ـ تسعة عشر عاماً .

ـ وعدت نفسي بالبحث عنك عندما تبلغين العشرين .

ـ سأبلغ العشرين هذه السنة .

نظرت إلى وجهه بإمعان ولكنها كانت تخشى أن تثق به . قالت لها أمها إنه سينساها وإن هذا حال الرجال . وإنه لم يعرض عليها الزواج إلا ارتجالاً وإنه كان سعيداً لأنه تخلص من الموقف . وإن التصرف العاقل الوحيد هو محاولة نسيانه . . الحب الأول دائماً مؤلم . . لكن المرء يتعلم دروساً من التجربة . ولا ينفع أن يثق المرء بغرائزه في هذه الأمور ، فالمنطق يصبح دوماً ضبابياً بالنسبة للجنس الآخر .

ولقد آمنت غالي أن نصيحة أمها لها مبنية على أساس سليم .

قال : «أنت لا تصدقيني» .

ـ لكنك لم ترسل لي ولو بطاقة بريدية .

وضع فنجانه من يده : «أين تقيمين؟»

ـ في فندق . . فندق نسائي .

ـ أيمكننا الذهاب إلى هناك؟

هزت رأسها نفياً : «لا يسمحون بدخول الرجال» .

أمسك بيدها وشدها لتقف : تعالي إذن .

صحبها إلى غرفته في الفندق .

ـ يجب أن أترك الغرفة غداً . فستدفع شركة الأفلام أجرها . . لا أطيق هكذا . . لم أصحبك إلى هنا لأغويك . . إنه مكان بعيد عن الأنظار يمكننا من التكلم بحرية .

أخذ عنها سترتها ورماها على السرير ، جلست غالي على الكرسي الوحيد هناك أمام طاولة صغيرة .

تقدم بروس إلى النافذة فنظر إلى الخارج دقيقة .

ـ لم أرسل بطاقة أو رسالة لذات الأسباب التي من أجلها رفضت الخطوبة.. كان من الأفضل أن ينتهي كل شيء بشكل سريع وقد وفر ذلك الكثير من العذاب البطيء.. ووفر عليك حرج الاعتراف بأنك غيرت رأيك.. فلا شيء أسوأ من فسخ الحب بالتدريج.

قالت ساخرة: «تبدو وكأنك تعرف كل شيء عن هذا.. أعتقد أن عندك خبرة كبيرة».

ـ خبرتي تفوق خبرتك بأشواط.. وأكثر مما كان لك منذ سنتين.. ولا بد أنك كبرت قليلاً منذ ذلك اليوم.

ـ أجل.. كبرت بشكل بت أعرف أنني لست حبيبتك، فلا تدعني بهذا الاسم.

ارتد أمام لهجتها العدائية:

ـ ما زلت غير قادرة على الرؤية.. أليس كذلك؟ حسناً.. لا جدوى من بحث الأمور مرة أخرى.

ـ لا.. لا أعتقد هذا.

هبّت واقفة وهي تقاوم رغبة غبية بالبكاء.

ـ سأجد طريقي إلى الخارج.. لا ترافقني.

عندما كانت تتجه إلى الباب سألها: سترتك؟

اتجهت إلى السرير بدون أن ترى شيئاً، في الوقت ذاته تقدّم ليتناول السترة فتلامست أيديهما. ولكنها سارعت لانتزاع يدها.. ورأته يرفع السترة عبر غلالة من الدموع. قال بصوت غريب وهو ينظر إليها:

ـ غالي! غالي!

ورمى السترة إلى الأرض بينهما وأمسك يدها بيده وشدها إليه بقوة، ثم أمسك باليد الأخرى ذقنها وأجبرها على النظر إليه.. ثم ضمها إليه وراح يكرر اسمها معانقاً بلهفة.

شعرت بدموعه تنتقل إلى خدها فتنهدت تنهيدة عميقة وذابت بين ذراعيه.. أحست وكأنها حصلت على شيء تكاد تموت شوقاً إليه منذ زمن

بعيد.

وشدها إليه أكثر فأكثر.. راحت يداه تمران على كتفيها وظهرها.. وأخذ يتمتم:

ـ ما أجملك! ما زلت تحبينني.. يا إلهي.. طالما حلمت بهذا.. وطالما تذكرتك وشعرت بك.. قولي إنك تحبينني، أريد سماعك تقولينها.

وأحست بالدوار، وهمست:

ـ أحبك.. أحبك.. فطالما أحببتك.. آه! بروس.. لماذا تركتني؟

ـ هس.. ليس الآن حبيبتي.. لن أتركك ثانية! أقسم لك.

وانفتحت عيناها بنفاد صبر ورأته يبتسم.

سرى فيها خوف مفاجئ فأغمضت عينيها مجدداً، وسألها: «ما الأمر حبيبتي؟»

ـ لا شيء.

وارتجفت.. فسأل: هل تشعرين بالبرد؟

هزت رأسها نفياً.. لكنها كانت تشعر بالبرد، إنما ليس بالطريقة التي يعنيها.. كان في رأسها منظار من زجاج متكسر ملوّن لأفكار متكسرة تتسابق في دماغها.. أمها.. بروس، أبوها، آخر مرة عانقها بروس فيها مودعاً بغضب.. وما قالته له وقتذاك.. ورفضها لما سماه «تصف رغيف».. وليما بعد، إصرار أمها على أن هذا مجرد وجه من وجوه نموها وحادثة لا أهمية لها.

أرادت أن يوقفها عن التفكير.. أن يعيدها إلى جو الحب الأعمى الذي غرقت فيه منذ لحظات. لكن لم يستطع شيء إيقاف عمل عقلها. أخيراً استولى عقلها على زمام الأمور وجعل جسدها غير متجاوب، ثم ارتدت عنه صائحة:

ـ لا.. لا أستطيع.. لا أستطيع!

بعد صمت الدهشة الأولى، وضع يده على كتفها ليقول:

ـ غالي! لا بأس عليك.. لن أؤذيك.. ليس هناك ما تخافين منه.

دفعته عنها وهبّت واقفة:

ـ ليس الأمر كما تقول.. أنا لا أريد.

سألها ساخراً:

ـ أهذا ما تظنينه حقاً؟

ـ أجل.

بعد لحظات من الصدمة، نهض عن السرير بصمت متجهم.. وسألها:

ـ أهذا نوع من الانتقام؟

ارتفعت عيناها المصدومتان إلى وجهه.

أضاف: «إن كان الأمر هكذا فأنت تلعبين لعبة خطيرة».

وجدت صوتها وقالت:

ـ لا.. بالتأكيد ليست لعبة! لا أستطيع.. ولن أفعل هذا.

ـ غيرت رأيك فجأة.

ملست شعرها بيديها مرتبكة:

ـ أرجوك بروس، أنا آسفة.. لكنني لم أستطع الاستجابة.

ـ أخبرتني إنك تحبينني.

غضت طرفها، وأدارت وجهها.. فمن السهل عليها قول هذا في حرارة المشاعر، لكن من المحرج أن يذكرها الآن بها.. وتذكرت أنه لم يرد بالمثل.. وعادت كل تحذيرات أمها إلى رأسها.. يقول الرجال أي شيء عندما يريدون شيئاً من المرأة، والغالبية العظمى منهم لا يهتمون إلا بشيء واحد ولكنهم لا يحترمون الفتاة التي تعطيهم ما يريدون.

تحداها: ألم يكن هذا صحيحاً؟

ارتدت إليه غاضبة:

ـ بل إنه صحيح! فهل ستصر أن أبرهن لك عن حبي.

مرّ تعبير غريب على وجهه، وكان في عينيه ومض فولاذي.

تقدم إليها ببطء:

ـ أريد منك أن تتزوجيني.. ليس حين تصلين إلى سن الرشد، وليس حين يوافق والدك.. بل الآن.. ما إن تحصل على ترخيص.

لكن والديها اقتنعا بأنها جنت.. وهدد والدها بطلب إبطال الزواج. واتصل بأحد المحامين طالباً رأيه ولكنه ما لبث أن هدأ وتقبل الأمر الواقع.. أما أمها فقد أفلتت خزان الدموع والتأنيب، تتهم بروس بكل شيء إلا بالاغتصاب.. فهما متزوجان قانونياً في مكتب التسجيلات في ويلنغتون، ولديهما وثيقة تثبت هذا.. والأنكى من هذا كما قال بروس، أن الزواج قد تم وأنه وابنتهما متزوجان.

قالت غالي: آسفة لأنني تزوجت بدون إعلامكما.. ولأننا عرفنا أن الأمر لن يعجبكما اخترنا هذه الطريقة.

قالت الأم بمرارة وعيناها على بروس:

ـ أجل.. آمل أن يتجنب المتاعب.. هذه فكرته.. أليس كذلك؟

قال بروس: نعم هي فكرتي، ولقد أقنعتها بها.

نظرت إليه السيدة تونر وكأنه خاطف أطفال مغتصب مفترس استغل صغر سن ابنتها وبراءتها... قالت وهي تتهمه:

ـ عرفت أننا سنحاول إقناعها بتركك.

ـ أجل.. عرفت أنكما ستبذلان الجهد لمنعها من الزواج بي.

قال والدها:

ـ حسناً، لقد انقضى الأمر. إنما آمل ألا تندمي على هذا غالي.

عندما عملت غالي شهر الإنذار في المكتبة مكثا في المزرعة.. وكان بروس يرغب في الانتقال إلى شقة في المدينة، لكن غالي توسلت إليه أن يعيد التفكير.

ـ لقد تقدّمت ما تريد حتى الآن.. أرجوك بروس اقنع معي بهذا.

ابتسم لها ساخراً:

ـ حسن جداً.. لن تفرق معي. أمك على الأقل مصممة على

كراهيتي. ولا أظن أن نوايالك الطيبة تغير هذا ولكن بسبب كرمها أوافق على بقائي هنا، مع أن أمك أرادت وضعي في الغرفة الإضافية.

ضحكت غالي: «مسكينة أمي».

كانت السيدة توتنر قد عرضت الغرفة الإضافية بسريرها الضيق على بروس ولكنه رفع حاجبه ساخراً:

ـ لا.. شكراً سيدة توتنر.. فسأكون أنا وغالي سعيدين في سريرها.

تلك الليلة وفي سريرها الضيق قليلاً الذي نامت فيه معظم حياتها انضم بروس إليها، وأخذها بين ذراعيه.. ولكنها وضعت يديها على صدره وقالت:

ـ لا أدري بروس.. لكن.. ربما ليس الليلة.

رفع نفسه على مرفقه:

ـ سنبقى هنا مدة شهر على الأقل غالي.. فهل ستتمنعين كل هذه الفترة لأن أبويك في الجانب الآخر من الممر؟

ـ لكنني أشعر..

ـ بالخجل؟ لا تشعري بهذا، نحن متزوجان.. وهما يعرفان هذا.. وهما متزوجان منذ خمس وعشرين، أو منذ ثلاثين سنة وهما يعرفان ماذا نفعل.. حتى وإن لم نكن نفعل شيئاً.. سيفترضان أننا نفعل على أي حال.

من السخف أن تشعر بالخجل لممارسة الواجبات الزوجية في منزل والديها.. وهو على حق.

ـ أعرف هذا وأنا آسفة..

عرض بروس المساعدة في المزرعة ولكن والدها رفض طلبه بقسوة:

ـ أستطيع العمل بمفردي.. وهذا ما كنت عليه دوماً. أنت لا تعرف شيئاً عن المزارع.. أليس كذلك؟

ـ لا.. لكنني مستعد للتعلم.

تمتم دان:

ـ ليس لدي الوقت لأعلمك.. من الأفضل أن تجد عملاً في «تايمز».

لكنه لم يكن ينوي الإقامة في «تايمز» وقال: سنذهب إلى أوكلاند ما أن تنهي غالي شهر الإنذار في المكتبة.. ولن أستطيع إيجاد عمل مؤقت إلى هذا الحد بسهولة. لذا فكرت أن أكون مفيداً هنا مقابل إقامتي.

قال دان بفظاظة:

ـ حسناً إذن.. لكن انتبه، أنا أبدأ العمل باكراً فلا تؤخرني.

تمكن بروس من عدم الوقوف في طريقه.. فكان أن أصبح تصرف دان معه أكثر تسامحاً. ولكن عند اكتشف أن لا وظيفة لديه في أوكلاند وأنه ما زال يريد العمل في السينما سألهما كيف سيعيشان.

قالت غالي: لقد تقدمت بطلب عمل في مكتبة في ضواحي أوكلاند، وأنا واثقة من الحصول على الوظيفة.. ومع بروس بعض المال.

اعترض دان: «لا يمكنكما العيش على بعض المال».

ـ نحن لا ننوي هذا.. لقد سمع بروس بفيلم سيبدأ إنتاجه قريباً، ويأمل أن يحصل على مكان ضمن طاقمه.

ـ وحتى ذلك الوقت؟

ـ سنعيش على رائي.

نظر إلى صهره بازدراء:

ـ وهل ترغب أن تنفق عليك زوجتك؟

قال بروس: لن يطول هذا كثيراً.. وأنا أقدر لك قلقك سيد توتنر.. إنما لا داعي للقلق.. لن أترك غالي تموت جوعاً..

ـ وماذا عن المال الذي معك؟ كم المبلغ؟

قالت غالي: «أبي».

ذكر بروس قيمة المبلغ فبدا دان دهشاً من الرقم. وقال:

ـ المبلغ غير كاف لتسديد قسط مقدم لشراء منزل.

إبتسم بروس:

ـ لا نريد منزلاً، بل الواقع أننا نفكر في شراء شاحنة بعد انتهاء

WWW.REWITY.COM

الفيلم

ـ شاحنة؟ وهل ستعمل عليها؟

ـ لا . . إنها شاحنة منزل . . مكان سكن متنقل

قالت غالي :

ـ يفكر بروس في تصوير فيلم وثائقي عن نيوزيلندا، قد يجد له سوقاً في الخارج . . ننوي السفر حول البلاد لتصور ولنوفر كلفة الإقامة . . وستكون الشاحنة منزلاً ووسيلة سفر . . إنه يعرف شخصاً ينوي بيع مثل هذه الشاحنة بعد ستة أشهر .

أضاف بروس : وتستطيع غالي بهذا التركيز على الكتابة . . دون الحاجة إلى وظيفة تأخذ من وقتها ثماني ساعات يومياً .

سأل الوالد : وعلى ماذا ستعيشان ساعتها؟

هز بروس كتفيه :

ـ على أعمال مختلفة ، أي عمل يتسنى لي .

أضافت غالي : «وعلى كل ما أنتجه من الكتابة» .

عندما سمعت السيدة تونر بالمشروع تصلبت ثم انفجرت :

ـ ستأخذها وتدور بها في البلاد كالفجر! من بين كل المشاريع الرعناء . .

قالت غالي : «سأستمتع بهذا» .

ـ ستصابين بدوار السفر!

ـ آه أمي . . تجاوزت هذا منذ سنوات!

ـ أصبت بالغثيان عندما ذهبنا إلى «ماناماتا» وكنت في الثامنة عشرة .

ـ كنت مصابة بالأنفلونزا .

ـ وماذا عن عيد الميلاد الماضي حين ذهبنا إلى الشاطىء حيث كانت غيلدا وروي يقضيان العطلة؟

ـ كان الطريق سيئاً .

ـ وهل سيسلك زوجك دوماً الطريق الرئيسة المعبّدة؟

نظر بروس إلى غالي مفكراً :

ـ لا أنوي هذا . أريد أن أغطي الأماكن البعيدة . الأمكنة التي لا يذهب إليها السواح أو الناس .

قالت السيدة تونر بانتصار :

ـ هل رأيت؟ وفي شاحنة! ستمرضين بلا ريب .

قالت غالي : «سأتناول أدوية» .

ـ إنها تصيبك بالدوار الذي سيجعلك تنامين، فهل ستقدرين عندئذ على الكتابة؟ ولنفترض أنك حملت؟

تورد وجه غالي : خجلاً .

ـ بم ستشعرين عندئذ وأنت تجولين في الأماكن النائية في سيارة؟ فسيكون أمامك مشكلة الدوار ومشكلة الحمل وما يرافقه من غثيان .

مرّ شيء من التردد على وجه غالي . لكنها قالت بشجاعة :

ـ حسناً . . لن أحمل وسأتأكد من هذا .

راحت السيدة تونر تهمهم غاضبة .

لف بروس ذراعيه حول غالي :

ـ إنها مجرد فكرة سيدة تونر . . ربما يجب أن نفكر فيها أكثر .

عندما انفرد بها سألها :

ـ لماذا لم تخبريني بأنك تصابين بدوار السفر؟

ـ أنا لا أصاب به دوماً . . وكنت أنت متحمساً كثيراً للمشروع . .

نظر إليها وعلى وجهه تعبير غريب :

ـ هكذا وافقت عليه؟

ـ أعجبتني الفكرة! و . . آه! إنه أمر طفولي أن أصاب بالدوار هكذا .

ـ الطفولية هي بعدم إخباري . . أعرف أنني أناني ، لكنني لا أنوي أن أجعلك بائسة في سبيل تنفيذ ما أريد .

ـ أنت لست أنانياً!

ـ لا تحاولي خداع نفسك . . سيخيب أملك إذا حاولت جعلي شيئاً أنا

نفسه.. ربما لأنني نشأت دون عائلة لم أكن مضطراً للتفكير بغيري ما عدا إلى مستوى معين. منذ تركت المدرسة، لم أحاول إرضاء أحد سوى نفسي. أما الآن.. فهناك أنت.

ـ لكنك جعلتني أتزوجك! ولقد أرهبتني تقريباً لأتزوجك.

ـ أعرف هذا.. ولقد بدأت أدرك ما فعلت.

صدمت متألمة للاعتراف، فاستدارت عنه. وضع يداً على كتفها لكنها هزت كتفها لتتخلص منها.

ـ غالي؟

أمسك كتفيها وأدارها لتواجهه. بعناد أبقت رأسها إلى الأسفل، في هذه اللحظة دخلت أمها لتقول:

ـ دان يريد قهوة.. وطلب مني أن أسأل ما إذا كان بروس يرغب بشيء منها.

قفزت غالي مبتعدة عنه وكأنها ضبطت في مشهد إجرامي، ورأت فمه يلتوي وهو يرد:

ـ شكراً.. سآخذ القهوة سيدة توتنر.

إنه يناديها دائماً بلقبها، وهذا شيء يزيد من إبراز العدائية بينهما. ويستجيب لها بشيء من المرح في عينيه، وكان أدبها المتزمت يسليه.. ولطالما كان صوته مهذباً لبقاً.. ولم تعرف غالي أبداً كيف يستطيع أن يجعل من اللباقة، إهانة.

ـ هل أساعدك في تحضير الفناجين؟

ـ أجل.. شكراً لك.. سأدلك على مكانها.

ـ لا بأس، أعرف مكانها.

وقفت السيدة توتنر تراقبه، ثم استدارت لتكمل صنع القهوة، لكن غالي منعتها وقد أحست بغضب مفاجىء نحو بروس المتهكم.. ودون منطق أحست أن أمها بحاجة إلى دعم.

ـ عودي إلى غرفة الجلوس أمي.. أنا وبروس سنأتي بالقهوة.

وضعت القهوة على الطاولة بغضب، وسألها: ما بالك غالي؟

ـ لا شيء.. سبب القهوة.. أتسمح؟ وجيء معك بالإبريق، فأنا واثقة أنكما قادران على إنهاء ما فيه.

التقط الصينية وجاء خلفها وهي تصل إلى الباب.. وانحنى يضع فمه على خدها.. قالت بحدة:

ـ لا تفعل هذا! ستجعلني أسكب القهوة!

حين لحق بها إلى الغرفة الأخرى بعد لحظات لم تكن قادرة على قراءة شيء على وجهه.. لكن وهو يرتشف القهوة، التقط نظرتها واستبقاها واعداً بالتفكير.

حين لف ذراعيه حولها وهي تقف أمام طاولة التبرج تمشط شعرها، وتعمد تقبيلها مجدداً تصلبت قليلاً، فهناك شيء بالطريقة التي كان يمسكها بها، جعلت القبلة تحدياً تذكرها بزجرها له في المطبخ.

بعد لحظات أخذ الفرشاة منها ووضعها على الطاولة.. وأدارها إلى ذراعيه، يعانقها بقوة، وسرعان ما ارتفعت ذراعاها حول عنقه، وتراجع رأسها إلى الوراء.. أخيراً رفعها بين ذراعيه وأخذها إلى السرير.. ومن نظرته الراغبة، عرفت لو أن لديه شكوكاً أو ندماً.. فهما غير كفيلين بإخفاء النار المشتعلة في عينيه.

* * *

كان أول خلاف بينهما بسبب أمها.. فقد اقترحت السيدة توتنر أن تبقى غالي في المنزل مع أبويها عندما يذهب بروس إلى أوكلاند للبحث عن عمل وسكن.. ولكن بروس رفض هذا رفضاً باتاً.. وهذا ما اعتبرته غالي عناداً غير ضروري خاصة وهو لم يطلب رأيها أو ينظر إليها حتى. قالت لبروس فيما بعد:

ـ كانت تحاول فقط مساعدتنا، لم لا تكون مهذباً معها؟

رد ببرود: أنا مهذب دائماً مع أمك.. وقد شكرتها على عرضها.

فأنا أعيش في منزلها، ولدي أقل ما يمكن من الأخلاق الحميدة.

ـ أقل ما يمكن أمر صحيح!

صرّ على أسنانه.

ـ عرفت أن العيش مع والديك لن يكون سهلا. إنما هذا ما أردته أنت. ولكنني لن أتركك هنا فأعطيها بذلك فرصة إقناعك بأنك ارتكبت غلطة عندما تزوجت بي! لا أظنك تدركين مدى تأثير والديك عليك. والغريب أنك لست مستعدة للتفكير في ذلك الاقتراح المنافي للعقل.

ـ لم يكن اقتراحا منافيا للعقل!

ولكنها لم تفكر للحظة في القبول وهذا لا يعني أن نوايا أمها غير طيّبة.

ـ كان اقتراحاً عاقلاً.

ـ حباً بالله اكبري غالي. يجب أن نتركيهما في وقت ما. مضى على زواجنا شهر وهو وقت كاف للاعتياد على فكرة الزواج والانتقال من منزلهما. اتخذي قرارك: إما أن تكوني امرأة راشدة وتنتمين إلي. أنا زوجك. وإما أن تكوني طفلة تخاف أن تترك أمها.

أنكرت هذا بغضب، وتحول الجدل بسرعة إلى مبارة لتبادل الاتهامات وظلّ ذاك التناحر حتى أوت إلى فراشها. عندما صعد بروس إلى السرير الضيق إلى جانبها، تحركت إلى الطرف وما إن وضع ذراعه حولها حتى تسمّرت غير متجاوبة.

بعد لحظات ضحك وقال:

ـ لا تكوني سخيفة. ستقعين عن السرير إن تحركت بعيداً عني أكثر من هذا.

لم ترد، وشدّها ليعيدها إليه ثم أدارها بين ذراعيه. فانهمرت دموع بطيئة من تحت جفنيها وتنهدت بصوت مرتعش.

رفع رأسه: لا تبكي. لن أجبرك على شيء. نامي.

لكنها تعلقت به لتمنعه من الابتعاد عنها:

ـ لا أريد شجارا.

ـ ولا أنا. لم أكن أقصد أن أجرحك. لكنني لا أريد أن أخسرك أيضاً. سنأتين إلى أوكلاند معي.

ـ أجل. بالتأكيد.

ملس شعرها بيديه ثم أمسك وجهها بينهما. بعد فترة وجيزة لم يعد لشرح النوايا أية أهمية.

انتقلا إلى أوكلاند، ووجدا شقة للسكن وفرشاها بأرخص ما يمكن من أثاث. بدأت غالي العمل في مكتبة، مسؤولة عن قسم الأولاد. وكانت ليلاً تعمل على كتابة قصتها، وتجد الأفكار تتدفق. حصلت على دفع إضافي بتشجيع بروس لها، مع أنها نادراً ما كانت تتركه يقرأ ما تكتب.

اتصل بروس بالأشخاص الذين سيصوّرون قصة من أفضل المبيعات في بوزيلند. وقال إنهم سيبدؤون العمل بعد ثلاثة أسابيع ولكن الوظائف المؤقتة كانت قليلة ومتباعدة. عندما زارهما والداها بعد فترة، كان بروس ما يزال عاطلاً عن العمل. واستطاعت غالي أن ترى إنهما يشكان بمسألة الفيلم.

قالت الأم بلسان سليط:

ـ المشكلة مع هذا الشاب أنه يعتقد أن الحياة مجرد لعبة.

وهما يغادران، دس والدها ورقة عشرين دولار في يدها، فلمّا أظهرتها لبروس فيما بعد تمازحه، لم يضحك وتوتر وجهه:

ـ حسناً. فليذهب الفيلم إلى الجحيم. غداً أبحث عن عمل.

ـ لم أقصد أن..

استرخى وجهه قليلاً:

ـ لا. لا أظنك قصدت شيئاً. إنما أرفض أن يعيلني أحد.

وجد عدة أعمال مختلفة، ولكنها لم تناسبه. فتابع والداها المعارضة لو جاءت الفرصة على شكل دورة تدريب مخرجين للعمل التلفزيوني.

واستخدما لهذا ما تبقى من مدخراتهما . . أراد أن يعمل في السينما لا في التلفزيون، لكن التدريب والخبرة سيساعدانه . فيما بعد عرض عليه أن يعمل في التلفزيون وأبلغت غالي الأمر بفخر إلى العائلة . . وكان أن أخرج برنوس سلسلة من البرامج ثم أوقف عن العمل .

سألت غالي : «لماذا؟»

هز كتفيه :

ـ وقع خلاف حول طريقة تنفيذ البرنامج، ولم أستطع تنفيذه كما يريدون .

حاولت تفهمه . . لكنها لم تستطع . . فبدأت للمرة الأولى الشكوك تراودها . . تلك الشكوك التي كبحتها منذ زواجهما . . انتقاد أمها . . وتصرف أبيها المنتقد بهدوء، هذا كله كان يهزّ ثقتها به . . بدا لها أن الفرصة أتيحت له لبدء سلم النجاح في مهنة صعبة، كان يدعي أنه يهدف إليها . . ولقد تعمد أن ينسفها من أجل مبدأ مشكوك فيه . . فيما بعد، وخلال جدال، صاحت في وجهه :

ـ أمي على حق بشأنك . أنت لا تحمل أي أمر على محمل الجد . .

كان جالساً إلى مائدة المطبخ على كرسي أرجع قائمتيها الخلفيتين . . لم يتحرك أو يرد . ثم قال فجأة :

ـ وهل يجب أن تأتي على ذكر أمك في هذا؟ نعم لا أنكر أن شخصيتها وانتقاداتها مثيرة للاهتمام . . فنحن منذ تركنا «نايمز» ونحن نعيش بسعادة بسبب تحرري من أنفاس العجوز على عنقي كلما أدرت ظهري . . ولأني أعرف أنها لا تنتصت علينا خارج باب غرفتنا ليلاً .

ـ هذا قول كريه منك! إنها لا تنتصت أبداً على بابنا . . ولا أظنك تهتم حتى لو تنصّتت .

ضحك، وأنزل كرسيه :

ـ لا . . ما كنت لأهتم . أما أنت فكنت كثيرة الاهتمام . . ولو بقينا هناك مدة أخرى، لأصبحت باردة . . هل التفكير في أمك هو الذي جعلك

لم تستطع منع الاحمرار من التصاعد إلى وجهها . فضحك مرة أخرى ووقف يتقدم نحوها :

ـ كان هذا هو السبب إذن! ويتحدثون عن ذراع القانون الطويلة . . ! ماذا عن لسان الحموات الطويل؟

حاول عناقها، لكنها دفعته عنها فقال :

ـ ألست مستعدة للصلح؟

ـ أتعتقد أن هذا سيحل كل شيء؟ ألا تفكر في سوى هذا؟ وأحلامك؟

ـ أنا لا أفكر في الأفلام الآن .

تحدته بشراسة : حتى هذا، أنت لست جاداً به . . كل الحديث عن الأفلام هو مجرد أحلام واهية عذر ملائم لئلا تلزم نفسك بعمل محترم .

احتفت البسمة عن وجهه .

ـ وهل هذه اسطوانة جديدة من رئيسة مجلس الإدارة . . أمك؟

صاحت : أولن تتوقف عن السخرية بأمي؟ لا حاجة بها لتقول لي إنني لزوجة . .

ضاقت عيناه وقال بهدوء :

ـ ماذا! . . أنت متزوجة . . بماذا غالي؟

ارتاعت من الفكرة التي عنّت على بالها بدافع الغضب .

همست : «لم أقصد شيئاً . كنت غاضبة» .

أرادت منه الآن أن يضمها بين ذراعيه ليبعد عنها الشكوك والمخاوف . . ولكنه لم يضمها، بل وقف ينظر إليها طويلاً بوجه صارم . .

قال : «سأعود فيما بعد» .

وخرج من المنزل .

وجد عملاً في مؤسسة شاحنات نقل . وكان عمله يقتضي السفر مسافات بعيدة .

قال لها : «يريدون عملاً دائماً وثابتاً . . فقلت لهم إنني مستعد» .

ـ لست مضطراً إلى . .

ـ هذا ما أردته أنت.. أليس كذلك؟ قد لا يكون عملا يرضي أبويك لكن راتبه جيد، وسأكون ملعونا إن ربطت نفسي بعمل مكتبي لعين طوال اليوم!

كان يغيب أحياناً ليلاً، أو عدة أيام. وكانت هي تمضي وقتها في الكتابة. ولكن معظم ما كانت ترسله، كان يعود إليها مرفقاً بورقة رفض قاسية. أما بعضها فكان يعود مرفقاً برسالة تشجيع. هكذا بدأت بتجميع الملاحظات السلبية والإيجابية على أمل أن تتمكن يوماً من كتابة قصة كبيرة، دون أن تبلغ بروس عنها.

ارتفعت نسبة مدخراتهما من جديد.. وبدأت غالي تحلم بشراء منزل خاص بهما يوماً.. أو بالبدء بإنشاء عائلة. بعد ظهر أحد الأيام.. ذهبت إلى مكتب عمله لإيصال رسالة مسجلة له، معتقدة أنها مستعجلة.

لكنه مزقها: هي لا شيء.

وبحث عن سلة مهملات ولكنه لم يجد شيئاً فدسها في جيبه.. بعد بضعة أيام.. رأته يأخذ الرسالة الممزقة ويملسها، ثم يكورها بسرعة ويرميها إلى سلة مهملات كانت موجودة قرب طاولة الزينة.

سألت: «ما هي؟»

ـ لا شيء.. ليست مهمة!

ـ ما دامت غير مهمة فلماذا لا تقول لي ما هي؟

ـ إنها عرض عمل إنما لديّ عمل.

في عيد الميلاد، أمضيا يومين في المزرعة.. في تلك الفترة ظنت أن عائلتها على وشك أن تتقبل بروس أخيراً. ولكنها لم تستطع إلا أن تلاحظ مدى توتره.. وعزت هذا إلى القلق وإلى الساعات الطويلة التي يعمل فيها، ولكن عندما أشارت أنه غير مضطر للعمل بهذه القسوة، انقلب عليها صائحاً:

ـ نحن بحاجة إلى المال لنشتري منزل أحلامك.

قالت له وهي تشعر بالألم:

ـ أنت لا تريده.. أليس كذلك؟

لان وجهه وهو ينظر إليها. ثم رفع ذقنها بيده، وقبلها بلطف:

ـ كل ما ترغبين فيه.. أريده لك.

في مطلع شباط وصلت إلى المنزل متأخرة وفيما كانت توضب بعض المشتريات في المطبخ سمعت أصواتاً مرتفعة فتساءلت عمن هو مع بروس.

دخلت إلى غرفة الجلوس فوجدت بروس واقفاً بطريقة عدوانية، يقول بشراسة:

ـ قلت لك.. ابحث عن شخص آخر.. أنا غير مستعد!

كان الرجل الجالس على الأريكة نحيلاً ملتحياً.

قال: «أنت من أريد».

ثم رأى غالي فهب واقفاً: «سيدة آشلي؟»

ـ أجل.. إنها زوجتي غالي.. هذا.. صديق قديم.. بشارة وابتني.

نظرت عينان بنيتان ماكرتان إليها:

ـ أحاول إقناع زوجك أن ينضمّ إليّ في مغامرة عمل، إنه رجل يصعب الإمساك به.. فهو لا يرد على الرسائل.. لذا فكرت أن الشيء الوحيد الممكن هو المجيء لمقابلته شخصياً.

سألت: «وما هو المشروع سيد وابتني؟»

ـ أؤسس شركة أفلام.. شركة تعاونية. ولبروس خبرة في العمل السينمائي والتلفزيوني معاً، ونحن نريد إخراج الأفلام السينمائية والتلفزيونية ثم بيعها للشركات.. وفي هذا الكثير من الفائدة.

ـ لا داعي لقول هذا لها.. إذ سبق أن قلت لك: إنني غير مهتم.

نظرت غالي إليه فرأت مدى توتره.. كان فكه مشدوداً وعضلات عنقه تقفز وعيناه بارقتين وفمه خطاً مستقيماً مشدوداً.

قال الرجل لغالي آملاً:

ـ قد تستطيعين تغيير رأيه؟

- أنا... هذا قرار بروس... بروس؟

لم يكن ينظر إليها بل إلى بشارة وابنتي وهو يقول:

- إذن... هيا... تابع... قل لها البقية... أعطها من الآخر.

- حسناً سيدة أشلي... المسألة هكذا... نحن قادرون على الحصول على دعم مالي محدود، إذا جمعنا الرأسمال بأنفسنا... وكما قلت، إنه عمل تعاوني... وعليه سيستثمر كل واحد منا في الشركة مبلغاً من المال.

سألت غالي: «كم؟»

أجاب بروس عنه: «كل مدخراتنا... إضافة إلى بضع مئات سنضطر إلى اقتراضها من مكان ما».

شحب وجه غالي.

أضاف بروس بصوت أجش:

- لا نستطيع تحمل هذا... آسف بشارة... عليك البحث عن شخص آخر.

بعدما ذهب ارتدت غالي إلى بروس:

- أهو رجل إداري؟

- لا شيء من هذا... إنه منتج خبير، فإن حصل على بعض النقود فسينجح بلا ريب.

سار في الغرفة متململاً، التقط كتاباً ثم وضعه من يده... ثم لمس محفورة على الطاولة وابتعد ثانية... كانت واثقة بأن هناك مخاطرة تفوق ما يقول... وتعرف أن إخراج الأفلام مسألة تقتضي مبالغ طائلة قد لا تكون مكاسبها كبيرة.

سألته بهدوء: أنت تريد المشاركة... أليس كذلك؟

رفع بصره إليها لوقت قصير، فهزّها ما ظهر في عينيه... لم ينظر إليها قط بهذا الشكل منذ تجادلا في ويلنغتون بشأن الزواج بدون إذن والديها.

- بل أريد! إنها فرصة العمر... إنما لا تقلقي، لقد تخليت عن كل هذا.

- من أجلي؟

حرك رأسه بإيماءة غريبة.

- بل من أجل زواجنا... ستكرهين أن تذهب أموالنا إلى عمل كهذا في الوقت الذي لا تريدين فيه غير كوخ وورود حول بابه، وأولاد يلعبون في المرج.

لم يستطع إخفاء المرارة في صوته.

قالت: «وماذا عما تريده أنت؟»

برق ضوء غريب في عينيه: «أريدك أنت».

فجأة، رأت ما سيكون الأمر عليه. نعم لا تنكر أن حلقها جف من فكرة ذهاب كل مدخراتهما ولكن عدم السماح له بتحقيق حلمه يعني أنه سيبقى ممتعضاً غاضباً... رأت بوضوح مفاجيء رهيب أنه لن يكون لزواجهما فرصة للنجاح.

قالت: «قل للسيد وابنتي إنك ستقبل عرضه».

- أنت لا تقصدين هذا

- بل أقصده... قلت يوماً إنك لن تتحمل التفكير في إفساد علاقتنا... وأنا لن أفسدها... قل للسيد وابنتي إنك قبلت.

عاد وهج الأمل إلى عينيه، وأحست بجفاف حلقها... أرادت أن تناوره، أن تصرخ، أن تلف ذراعيها حوله وتتعلق به قدر ما تستحق... ولكنها صرّت على أسنانها وكبتت مشاعرها.

تقدم إليها ينظر إلى وجهها بإمعان: هل أنت واثقة؟

- كل الثقة.

عندما تم الأمر، وانتقلت مدخراتهما إلى الشركة، وتركز بروس في مكتب في استديو جديد، واسم الشركة على بابه... وضبت غالي متاعها وكتبت له رسالة، وغادرت المنزل.

لحق بها بالتأكيد... ما إن وصل إلى باب منزل أبويها حتى قال لها: «عرفت أنك هنا».

أمسك ذراعها لينزلها وليسير معها على المرجة.

- عدت إلى أمك ثانية. أهي من أقنعك بتركي؟

- لم يقنعني أحد. ولكننا شخصان مختلفا الأهواء. وأنت قلت إن الانفصال السريع خير من علاقة تفسد بالتدريج. عندما جاء السيد وابنتي عرفت أن وقت الانفصال حان.

توقف عن السير وأدارها نحوه بضعف. وقال من بين أسنانه:

- خططت لهذا. كنت تعرفين أنك ستتركيني حين طلبت مني القبول بعرض بشارة. حسناً. شكراً! أنا متأثر بكرمك!

نظرت إليه وهي لا تعرف كيف ترد. كان يضع التفسير الذي يريد لعملها.. وهل يهم حقاً؟

أنزل يديه عنها وقال ببطء:

- هل كنت تعسة معي إلى هذا الحد؟

هزت رأسها نفياً:

- لم يكن أي منا سعيداً. كنت متضايقاً كثيراً لابتعادك عن حلمك. ولانخراطك في عمل تكرهه.

- أنت تخترعين الأعذار فقط.

- لم يمض على زواجنا شهر حتى قلت لي إنك نادم.

- أقلت لك هذا؟

- ألا تذكر؟ قلت إنك على وشك أن تدرك ماذا فعلت.

- لكن هذا لا يعني ما تفكرين فيه. لقد بدأت أدرك مدى صغر سنك، وللأسف ما زلت صغيرة.. لقد آليت على نفسي عندما وعدتك بالسعادة ولقد حاولت غالي.. حاولت بأقصى جهدي.. لكنه لم يكن كافياً أليس كذلك؟

- وهل اعتقدت أنني أريد سعادتي على حساب سعادتك؟

- يمكننا حل الخلافات.. فأنا أحبك.. فهل تحبينني بما فيه الكفاية للمحاولة؟

- أنا أحبك بما فيه الكفاية لإعطائك حريتك صاح بنفاد صبر.

- حرية لم أطلبها ولا أريدها!

- لم تطلبها.. لكنك تريدها.

ضاقت عيناه: «أهذه تضحية؟»

- لا.. بل هو نوع من الخلاص لكلينا. أرجوك بروس.. ارتكبنا غلطة.. فلننه الأمر قبل أن نكره بعضنا بعضاً.

* * *

٧ ـ لنتعلم كيف نحب!

خلال عدة أسابيع عملت غالي ساعات طويلة في كتابة السيناريو، ولم تر بروس قط حتى حددت كل المشاهد. الآن أصبح دراك المشرف الرسمي على السيناريو. قال لها دراك أن لا بد لبروس من الاطلاع عليه وسألها أن تحدد وقتاً لعقد جلسة مع بروس، وكان ذلك.. عندما اجتمعوا عاملها بروس كما عامل دراك بطريقة مهنية باردة.

استغرق منهم التوسع في المشاهد وكتابة الحوار والتوجهات وقتاً أطول مما ظنت.. في هذا الوقت كانت ايسمي وبروس معها يقومان بالتحضيرات للتصوير.

صوّرت المشاهد الأولى في أحد الاستديوهات في أوكلاند.. وذهلت غالي من رؤية التفاعل الذي تطور فجأة بين بطلي القصة أمام الكاميرا.. ولم يكن يبدو عليهما أي اهتمام عاطفي ببعضهما بعضاً خارج التصوير: البطل، أيان مارتز ممثل صنع لنفسه اسماً في التلفزيون الأوسترالي أما البطلة فقد عادت للتو من العمل في بريطانيا العظمى، وكلاهما من مواليد نيوزيلندة.

البطلة بينسي، طويلة سوداء الشعر، جميلة الوجه. والبطل طويل غير أن قسمات وجهه وبنية عظامه ونظرة التراخي فيه، كانت على نقيض حيوية البطلة المثيرة.. ما إن يتوقفا عن مشهد، حتى تسارع بينسي إلى بروس تطالبه بنقد أدائها.. أما أيان فكان يتوجه إلى غالي التي كانت تجلس في زاوية منعزلة ومعها نسخة من السيناريو وقلماً.

في نايبمز حجز فندقان لطاقم الفيلم، وتشاركت غالي غرفة مع فتاة تعمل على متابعة السيناريو وتمكنت من زيارة والديها عدة مرات.. لكن معظم الوقت، كانت تبقى في الموقع.

استدعاها بروس إلى المقطورة التي يستخدمها كمكتب له، وأشار إليها أن تجلس إلى الجانب الآخر من طاولة صغيرة قابلة للطي.

ـ سألني أحدهم عما إذا عادت المياه بيننا إلى مجاريها.

ـ أحد أفراد الطاقم؟

ـ لا.. بل شاب من المحليين جاء لمشاهدة التصوير

قالت ببطء: «حسناً.. من المتوقع أن يحدث هذا في وقت ما. ماذا قلت له؟»

ـ لم أقل الكثير.. ولكن أمر زواجنا سينتشر بسرعة.. والواقع أنني دهش لأن أحداً من المشاركين في الفيلم لم يسمع به حتى الآن.

ـ ربما يعرف بالأمر الجميع، ويتجاهلونه لباقة منهم؟

صمت للحظات: «هل أخبرت أيان؟»

أدهشها السؤال:

ـ لا.. وهل أخبرت أنت بينسي؟

ـ لا.. ولماذا أخبرها؟

ـ ولماذا أخبر أنا أيان؟

ـ أراكما مقربين كثيراً.

ـ ماذا عنك وعن بينسي؟

كم رأت بينسي تدس يدها في ذراعه، أو تجلس وذراعها على كتفه بطريقة.

ـ ماذا عنها؟

ـ ألستما.. مقرّبين؟

لم يظهر تغيير وجهه، لكن عينيه ضاقتا:

ـ وهل يهمك هذا؟

- وهل يهمك أن أكون وأبان مقربين؟

تبادلا النظرات للحظات طويلة في صراع إرادة . . ثم وقف فجأة وخطا مبتعداً عنها .

- حسناً . . أجل . . يهمني . . والآن دورك .

فتحت فمها لترد، لكن طرقة خفيفة على الباب أصمتتها

أدار رأسه إلى الباب آلياً، ثم أعاد النظر إليها ينتظر رداً، وبطالب بالحقيقة .

ردت «أجل» .

حاول التقدم إليها عندما تعالى الطرق على الباب ثانية . شتم ثم فتح الباب قائلاً :

- نعم؟

قالت بيتسي :

- حبيبي . . ساعدني لأصعد . . أرجوك .

تسللت إلى المقطورة ويدها لا تزال في يد بروس . . بعد ذلك ارتفعت يدها الثانية إلى صدره وظلت هناك . . في البداية انصبّ تركيزها عليه ثم رأت غالي . . فقالت بصوت فظ :

- آسفة! قطعت عليك عملك!

وقفت غالي بسرعة :

- أبداً . . كنت أهمّ بالخروج .

عندما مرت به ناداها بروس . . لكن بيتسي كانت تتكلم عن حملة ستقام بمناسبة انتهاء التصوير . .

عزمت على النوم باكراً ومتابعة النوم في الصباح حتى وقت متأخر لكنها أحست بالتململ والتوتر، فخرجت تتناول العشاء في الفندق ثم قررت التمشي .

سارت مسافة كبيرة لم تكن تنوي اجتيازها في هذا الوقت .

راحت أفكارها تتفاقم وتتفاقم . . أخيراً ابتعدت عن ضواحي المدينة .

وسارت في الطريق الساحلية التي تحتضن صخوراً شديدة الانحدار على أحد جانبيها وسلسلة متفرقة من الخلجان الصغيرة على الجانب الآخر .

بعد قليل من الوقت، توقفت وأخذت تنظر من فوق المياه الفضية إلى ساحل الخليج الآخر الذي ما يزال مرئياً . أراد بروس أن يعرف ما إذا كانت هي وأبان مقربين . . إذن . . بروس يغار؟

فلنفترض أنه ما زال يحبها؟ فماذا يعني هذا؟! هل يستطيعان بعد الإخفاق والهجر والانهيار الرهيب والقسوة التي أظهرها أن يضعا كل هذا وراء ظهريهما والبدء من جديد؟

إنها لا تعرف . . لقد ارتكبت هي أخطاءً جبانة والأنكى أنها لم تؤمن به .

عندما ألقت نظرة على الساعة ارتاعت . إنها العاشرة والنصف . . ارتجفت وشدت سترتها حولها ثم قفلت عائدة إلى البلدة . . عندما وصلت إلى الفندق كانت الساعة قد بلغت منتصف الليل .

المفترض أن تنام بسرعة بعد هذه المسيرة الطويلة، ولكن الأحلام المزعجة لاحقتها . . والحلم الأخير كاد يكون حياً . . رأت في منامها أن بروس يركض بين دغل أشواك وسط كلاب هائجة تقفز من حوله . . فجأة، ظهر وحش أسود له أنياب طويلة بارزة، فهجمت عليه الكلاب التي ألهتها جراحاً الواحد تلو الآخر . . عندئذ أخرج بروس سكيناً من حزامه وهجم على عنق الوحش ولكن الوحش نهش ذراعه وأوقع السكين . . ثم نهش ساقيه فأوقعه أرضاً، وانقض عليه ينهشه ويمزقه وهو يزمجر ويشخر بأصوات رهيبة . .

حاولت الصراخ . . لكن حنجرتها كانت مسدودة بفعل النوم . . أخيراً استيقظت متقصّدة عرقاً، مرتعدة خوفاً . . نظرت إلى ساعتها فإذا هو الفجر . . إنها الخامسة . . والفريق الذي سيصور عملية الصيد سيجتمع مع الصيادين في الخامسة .

ابتلعت ريقها حامدة ربها لأنه مجرد حلم . . فمنذ ذكر حملة الصيد،

وقصص غريبة عن الصيد تراودها . . لقد سمعت كثيراً عن وحوش تمزق كلاب الصيد وتقتلها، وعن معاناة الصيادين من جروح رهيبة، وعن وحوش يبلغ حجمها حجم الثيران البرية . . ولكنها فكرت أن بروس لن يكون قرب عملية الصيد . . بل سيلاحق الصيادين من بعيد، وإن هاجم الصيادين وحش أو ما شابه فستقضي عليه البنادق قبل وقوع أي ضرر حقيقي . . يفاخر الصيادون عادة بإنجاز العمل بالسكاكين، ولكن إن استطاعوا القضاء على صيدهم بالبنادق دون تعريض الكلاب للأذية فلن يترددوا .

نظرت إلى السرير الآخر ورأت أن زميلة سكنها قد ذهبت . . فلملمت بعض الثياب وأسرعت إلى الحمام .

حينما انضمت إلى الطاقم في الشارع حول سيارة «اللاندكرويزر» التي ستحملهم مع المعدات، قال بروس :

ـ ماذا تفعلين هنا؟ لا سيناريو لهذه اللقطات .

ـ أريد مرافقتكم . . أرجوك .

كان أفراد الطاقم يتوزعون على المركبات المختلفة فدنا منها أيان ووضع ذراعه على كتفيها :

ـ مرحباً . . هل ستأتين لمشاهدتي وأنا آخذ زمام حياتي بين يدي؟

صاح أحدهم : بروس! أكلنا جاهزون؟

ـ أجل .

ارتدّ بروس لم نظر إلى غالي :

ـ حسناً . . إنما لا تقفي في طريق أحد .

ابتسم أيان لها : «بإمكانك الجلوس قربي» .

كانت الرحلة إلى الأدغال الشائكة صعبة بسبب سوء الطريق وكثرة الحفر فيه . . وعلى جوانب هذه الطريق امتدت الأشجار الباسقة والسرخس الطويل الساقين .

أخيراً توقفت القافلة عند قمة مرتفع حيث انتهت الطريق الموحلة

فجأة أمام حافة الدغل . . في الصمت المفاجىء تعالت تغاريد الطيور من شجرة إلى شجرة بوضوح مذهل .

بدأ الصيادون الذين ساروا أمام القافلة في شاحنة قديمة يجمعون معداتهم، ويطلقون الكلاب . . وأخذت الحيوانات تلهث بإثارة واهتياج حولهم . . تشمّم أحد الصيادين المنتعل مداساً عالياً الهواء وقال :

ـ جاف كالحطب . . ستكون الغزلان في الأودية .

جمع رفيقه الكلاب بسلسلة من الأوامر والصفير، في هذا الوقت أفرغ طاقم التصوير المعدات والأنوار والكاميرات والمايكروفونات بإشراف مساعد المخرج أما غالي فاستندت إلى غطاء محرك السيارة المتسخ تستمتع بما ترى أمامها، ووقف براون الممثل الذي سيأخذ دور صياد آخر إلى جانبها .

دنا بروس منهما وهو يحمل لوح كتابة وقال للممثل :

ـ ألق نظرة على قناة المتابعة .

ثم أردف إلى غالي بصوت منخفض :

ـ أين كنت ليلة أمس؟

ـ خرجت أتمشى .

ـ حتى منتصف الليل؟

ـ أجل . . تقريباً، هل أردت شيئاً مني؟

ـ بإمكانك قول هذا .

همّ بقول شيء، ولكن أيان عاد إليهما وقال بمرح :

ـ أي نوع من المغامرات الجريئة تحضرها لي بروس؟

قال بروس بسخرية :

ـ لا شيء . . لن نخاطر بدق عنقك . إنها ثمينة جداً لنا الآن . . سيجد الصيادون مكاناً بقرب من المكان الذي نأمل أن تتم العملية فيه دون تعريضك للخطر . . وسنحاول الكاميرات التقاط مشاهد الحركة خلال المطاردة . وسيقرّب مهندس الصوت ميكروفوناً قدر المستطاع . بعد

تصوير الصيد الحقيقي، سنجعلك وبراون تركضان في المكان ثم سنعمد إلى بعض الخدع مع الغزال الميت، هذا إن حظينا بواحد.. وإلى ذلك الوقت، ابتعد عن الطريق

نظر أيان إلى غالي:

- هذا ما يجعلنا اثنين.. ما رأيك بقضاء الوقت بشكل جيد؟

قال بروس: ابق مع أفراد الطاقم الذين ليس لديهم عمل في الوقت الحالي.

ابتسم أيان. مفسد اللذات!

انطلق الصيادون في طريق وعرة.. لكن بعد عشرين دقيقة وصلوا إلى مرتفع يشرف على عدة وديان عميقة. أشرف بروس على المنطقة ثم راح يتحدث إلى الصيادين، وأعطاء أحدهم بندقية.

قالت غالي: «ماذا ستفعل؟»

تذكرت حلمها بالتفصيل فلم تستطع منع ارتجافها.

قال: «سأحمي المصور.. في حال وقوع ما لا تحمد عقباه».

طاف الصيادون وكلابهم حول أحد الأودية الصغيرة، في هذا الوقت توقف المصور مع مدقق تركيز الصورة الذي يعدل الكاميرا له في مكان ما على التل، أما الآخر الذي كان معه كاميرا نقالة على كتفه فلحق بالصيادين.. وبينهم بقي بروس عندما كان مهندس الصوت ينتقل من أجمة إلى أخرى.

فوق التل المنخفض، وقف من تحتاج إليه اللقطة فيما بعد للقطات المزيفة، ينتظرون مع معداتهم.

نبح أحد الكلاب وانطلق في الوادي الصغير فلحق به سائر الكلاب ثم حث الصيادون الخطى واهتز العشب المرتفع لأن حيواناً ضخماً كان يتحرك في المكان.. وأسرعت الكلاب ولحق بها الصيادون بأقصى سرعة.

انفجرت الكلاب بنباح هائج.. وارتفع عويل ألم حاد. في هذا

الوقت تحركت الأعشاب والشجيرات بقوة.. وزأر بسخط من الوادي القريب حيوان أسود قاتم، طويل، انطلق إلى واد صغير ولكن كلبين لحقا به وحذا حذوهما الصيادون الذين اختفوا عن العيان. فيما كان بروس يحاول البقاء بعيداً عن التصوير، أشار إلى الكاميرا الأولى القريبة وصعد إلى مرتفع صغير في سبيل إلقاء نظرة واضحة.

في المرة التي ظهر فيها الغزال، رأت كلباً يتعلق بذيل الحيوان الذي صارع برفسه وارتد عائداً مع ظهور الكلاب الأخرى لتسد طريق انسحابه.

أسرع الوعل يختبىء في الدغل مجدداً، ثم اقتحم الأشجار المنخفضة واتجه إلى المرتفع الذي تقف عليه غالي والآخرون.

قال أيان بقلق:

- قيل لي إنه يركض عادة نزولاً نحو الوديان.

ارتد المصور المتحرك وركض وراء الوعل الثائر والصيادين اللاحقين به.. وقفز بروس واقترب من الآخرين لكنه ظلّ وراء الكاميرا.

لفترة، لم ترَ هي ومن يراقب المشهد سوى أعشاب وشجيرات تلوح وأذناب الكلاب المتحركة ثم تعالى صوت اهتياج.. وصياح حيوان متألم وشخير ونباح وعراك وصياح.

ارتدت غالي لئلا ترى شيئاً ووضعت يديها على أذنيها.. ولكنها سمعت أيان يقول بصوت منفعل بعد لحظات:

- لقد ابتعد مرة أخرى!

أرسلت يديها ونظرت.. فسمعت صياداً يشتم بصوت مرتفع، ووصلت الكلمات بوضوح إلى حيث تقف. وضحك الرجال. لكن غالي ظلت تحدق إلى ما كان يحدث في الوادي الصغير.

ما زال بروس واقفاً مكانه، مرهف السمع مصغياً.. أما الرجل الذي أمامه فكان يصور باستمرار. ثم رأت بروس ينظر إلى المصور الآخر وإلى مهندس الصوت ليتأكد من سلامتهما.. لكن، في الأسفل من ذلك المستوى، لم يكن قادراً على رؤية ما تستطيع رؤيته من هذا المكان

المشرف الذي نقف فيه... ولم يرَ بهذا تحرك الشجيرات والأعشاب عندما كان الوعل يشق لنفسه طريقاً فيها، يركض مجدداً بكل قوته مبتعداً عن ملاحقيه ومتجهاً مباشرة إلى حيث يقف بروس.

صاحت بصوت حاد: «بروس!»

رفع بروس نظره إليها، أما الوعل فخرج من الدغل وركض... كان ممزّق العنق والظهر تسيل منه الدماء بسبب نهش الكلاب وكان فمه مفتوحاً وقرونه المتشابكة الخطيرة صفراء منخفضة كمخالب جرّافة، على استعداد للانقضاض.

وقف بروس جامداً ولكن غالي بدأت تركض رامية نفسها نزولاً عن التل أسرع مما ركضت في حياتها كلها وما هي إلا ثوان حتى وصلت إلى الأسفل... الوعل، الذي ألهاه وجودها وحال بينه وبين الخلاص ارتدّ إليها مهاجماً.

حاولت غالي وهي تركض تغيير اتجاهها فكان أن لوت كاحلها فوقعت على ظهرها... سمعت صراخاً وشخيراً مرتفعاً خشناً قريباً منها بشكل رهيب... ثم صرخت لأن قرون الوعل أصبحت على مقربة منها.

أصبح العالم أمامها ضبابة دم وأظلاف قاسية وقرون كحد السكين، ثم شعرت بثقل واشتمت رائحة نتنة هي رائحة هذا الحيوان المغطى بجلد سميك فرفعت ذراعيها عن غير وعي لتحمي نفسها... ولكنها سمعت أصواتاً تصم الآذان تبعها نباح وصراخ الرجال، ثم سحب الثقل الرهيب عنها وسمعت صوت بروس الذي بدا وجهه أبيض غاضباً...

ـ أيتها الحمقاء اللعينة! ماذا تفعلين بحق الله؟

* * *

قالت غالي مرتجفة:

ـ آسفة... أفسدت اللقطة... أليس كذلك؟

نظر إليها ساخطاً، وقال:

ـ لو لا الملك لهززت ضوء النهار في عينيك!

ثم صاح لأحدهم:

ـ أين صندوق الإسعاف الأولي؟ هلا حملته معك... بحق الله!

ضمدوا لها ركبتها وكانت قرون الغزال قد أحدثت هذا الجرح الصغير قبل أن يطلق بروس عليه النار ويقتله... ثم أخذ بروس مع أحد الرجال «كرسياً» من ذراعيهما وحملاها إلى المركبة...

قالت: سأجلس هنا... حتى تنهوا التصوير.

صاح بها: اصمتي! اكتفيت من غبائك ليوم واحد!

رافقها إلى المستشفى بنفسه وترك الآخرين ينهون المشهد تحت إشراف المساعد الأول... ما إن وصلا إلى المستشفى، حتى جلس منتظراً الأطباء لينهوا تقطيب الجروح وتصوير ركبتها وتصويرها بالأشعة السينية... في النهاية أخبروه أنها لم تصب بضرر كبير.

قال: «سأرافقك إلى منزل أبويك».

قالت بصوت خنوع: شكراً لك... إن هذا مراعاة لشعوري.

في الطريق قال فجأة:

ـ ما كان عليّ السماح لك بمرافقتنا أصلاً. لماذا أردت المجيء... على أي حال؟

في المستشفى أعطوها حقنة مضادة للالتهاب وأخرى للألم... لذا شعرت أنها خفيفة الرأس لا تهتم لشيء.

قالت: «لقد رأيت حلماً... فيه أن ذلك الوعل هاجمك أنت».

نظر إليها بعدم تصديق... بعد لحظة قال:

ـ أكنت تحاولين حمايتي؟ بالله عليك يا امرأة! تحميني وأنا أحمل البندقية!

ـ أعرف... ولكنني لم أفكر في هذا من هذه الجهة... لقد رأيته قادماً نحوك و...

وارتجف صوتها، ثم أردفت بصوت غاضب:

- ... وها أنت تصرخ بي وتزجرني منذ ذلك الوقت. قلت لك إني آسفة لأنني أفسدت التصوير.. ولا داعي لـ..

بدأ بالسباب واللعن من بين أسنانه، وأوقف السيارة على جانب الطريق ليضمها بين ذراعيه.

قال بصوت أجش: فليذهب الفيلم إلى الجحيم! لم أقصد زجرك.. لكنك أخفتني بشكل رهيب.

عانقها عناقاً كان مزيجاً من الشوق والإحباط والراحة.. ثم تركها وقال:

- أنت شاحبة كالموتى.. لذا من الأفضل أن أقلك إلى المنزل لتنامي.

انقضت الأم بلسانها على بروس وكأن ما حصل غلطته، ثم أحدثت جلبة وهي تأخذ غالي إلى السرير.. عندما كادت تغفو دخل بروس إلى غرفتها

- سأذهب إلى الفندق لأحضر بعض الأغراض وسأعود.. سأنام في الغرفة الإضافية.

- لا داعي لهذا.. لديك عمل كثير.. الفيلم..

- أنا لا أحتاج إلى جمر النار.. شكراً.

سألت بصوت ناعس: «ماذا؟»

- لا تأبهي لما أقول.

انحنى يقبلها بسرعة وقوة

عندما استيقظت كان الوقت فجراً.. وكان ممدداً على كرسي قرب سريرها وذراعاه معقودتان خلف رأسه.

سألته مستغربة: «هل أمضيت الليل هنا؟»

- لم أستطع النوم. هل أحضر لك شيئاً؟

- لا.. ربما بعض الليموناضة

ظهرت أمها في الباب قائلة:

- هل من خطب؟ أتريدين شيئاً غالي؟

قال بروس: «كنت أهم بالبحث عن الليموناضة».

- سأجلبها أنا.

بعد خروجها، قالت غالي:

- ماذا قصدت بـ «جمر النار»؟

- في البداية، رميت نفسك أمام عزال هائج بغية إنقاذي ثم رحت تقولين لي «اتركني».. لكنك لا تريدين مني أن أذهب حقاً.. أليس كذلك؟

أشاحت بوجهها عنه فأضاف بصوت مهتز:

- اللعنة غالي! أعرف أن ما فعلته بك أمر لا يغتفر.. مع ذلك ما زلت تحبينني؟ ولا شك أن في هذا شيئاً ما.

وصلت أمها وفي يدها كوب، وأضاءت النور، فرفع بروس عينيه إلى السماء، عندئذ رغبت غالي بالضحك.

حاولت الجلوس فسارع يرتب لها الوسادة خلفها.. ولكن أمها بادرت إليه بشيء من الازدراء ووضعت الكوب من يدها، وأصلحت ما فعل ثم أعطتها الليموناضة وراقبتها وهي تشرب نصف ما في الكوب، وأعادته إلى الطاولة.

دفعت غالي الأغطية وحاولت الوقوف

- أنا بحاجة إلى حمام.

ولكنها شهقت ألماً بسبب ركبتها فجلست مرة أخرى عندئذ دنت منها أمها: سأساعدك.

لكن بروس سبقها ورفع غالي بين ذراعيه بسهولة.

- هذا اختصاصي على ما أظن.. سيدة ثوتر.

ابتعدت الأم عن الطريق زائمة شفتيها.. فجأة عيل صبر غالي.

- أوه.. حباً بالله، أنتما معاً! ككلبين متخاصمين على عظمة.. من قال بروس أن يكون هنا ليساعدني أمي.. إنه زوجي! وأنا امرأة راشدة، ولم أعد طفلة صغيرة.. والأهم أنه ليس عائداً إليك أن تقرري ما هو صالح

WWW.REWITY.COM

لي

أدارت وجهها إلى بروس:

- وبروس... غبي أحمق كالأطفال، ومن السخف أن تغار من أمي! لم تفهم قط أنني قادرة على أن أحب أحداً غيرك دون الانشغال من حبي لك... وأعتقد أن السبب هو عدم وجود عائلة لك، وعدم قدرتك على فهم أن الحب ليس هكذا... ليس للحب حدود... فهو يتمدد ويتوسع ليشمل المزيد من الناس في كل مرة، ولا يضعف بل يصبح أكثر غنى... أدا خلني إلى الحمام! لقد قدمت خطابي، ولا أعتقد أن أحداً منكما استمع إليه.

بعد دقائق، دخل بروس إلى المطبخ فوجد السيدة توتنر تضع الشاي في الإبريق... رفعت رأسها... قال بعد تردد:

- إنها تستحم... قالت إنها ستناديني حين تحتاج إلى مساعدة.

سألت السيدة توتنر: أترغب في فنجان شاي؟

- شكراً... هل لي أن أساعدك؟

- لا... ألا تريد توست؟

- ليس الآن.

سحب كرسياً من قرب المائدة ووضعه وسط المطبخ الكبير ثم جلس وبدأ أمامه... في هذا الوقت راحت تصب الشاي ثم قدمته... وقالت:

- لم أكن أقصد ما قلته عندما جئت برفقة غالي إلى المنزل... شعرت بالصدمة.

رفع نظره إليها:

- أعرف... قالت لي إنني لم أفعل شيئاً منذ لحظة الحادثة سوى الصراخ بها... وكنت أنا مصدوماً أيضاً

هزت السيدة توتنر رأسها إيجاباً:

- عندما كانت في الثالثة من عمرها، ذهبنا للتسوق في البلدة. في ذلك اليوم هرعت إلى الشارع فكادت تصدمها شاحنة فصرخت رعباً... وعندما عادت إليّ حملتها وضربتها على مؤخرتها أمام الملأ ونعتها بالغباء.

- أفهم مشاعرك. وأنا أيضاً رغبت في صفعها على مؤخرتها ولكنها كانت قادرة على تحمل الألم.

- حسناً... إنها الآن أكبر من أن أستطيع أنا هذا.

ضحك بروس. فضحكت قليلاً، وأضافت بصوت محذر

- لا يعني هذا أنني أؤيد ضرب الزوجات.

- لا بأس في هذا... فأنا لا أؤمن به أيضاً

برز تعبير غريب على وجهه وظهر على خديه لون أحمر

- هل أخبرتك ما حدث؟ قبل سفري إلى أميركا؟

هزت رأسها نفياً:

- أعرف أن شيئاً حدث... إنما لم تتكلم عن الأمر... ولكنها كانت منزعجة بشكل رهيب.

أشعل الغضب عينيها لحظة... فانتفض بروس من الداخل ولكنها أدهشته بقولها بعدما سحبت نفساً عميقاً:

- لكن هذا أمر بينك وبينها... ولست مضطراً إلى إخباري

قال: «الفضل ألا أخبرك... لأنني أساساً أخجل مما جرى... لقد كانت على حق على الأرجح بشأن غيرتي... فأنا فعلاً أجد صعوبة في المشاركة لأنني ببساطة غير معتاد عليها».

- كانت على حق في أشياء كثيرة... احتسي الشاي... سيبرد.

عندما نادت غالي، قالت له السيدة توتنر:

- هيا... اذهب... إنها بحاجة إليك.

أمضت غالي يومها مستلقية على الأريكة في غرفة الجلوس ولكنها قبل ذلك ألحت على بروس أن يعود إلى موقع التصوير.

- لا تقل لي إنني أمثل دور الضحية مرة أخرى... فهذا فيلمي أيضاً تذكر هذا... سأعود إلى موقع التصوير غداً على الأرجح.

غادر على مضض واعداً بالعودة ما إن ينتهي التصوير.

قالت أمها بعد خروجه: إنه قلق عليك

- لا داعي للقلق.
- ما زلت تحبينه . أليس كذلك؟
- أجل . . ما زلت أحبه.
تنهدت الأم: حسناً . . إذا كان هذا ما تريدين.
حمل إليها الأزهار وعلبة شوكولا من أفراد الطاقم.
- إنهم قلقون عليك . . أبان يريد زيارتك . . ولكنني قلت له بعد العشاء.
- هذا لطف منه.
نظر إليها بحدة . . ثم سألها:
- هل كنت برفقته تلك الليلة؟
نظرت إليه دون أن تفهم . . فقال بنفاد صبر:
- الليلة التي سبقت تصوير الصيد . عندما جئت أسأل عنك فلم أجدك في الفندق، وانتظرت ساعات . لم يقل أحد شيئاً ولكن الجميع ظن أنكما معاً . . فهل كنتما معاً؟
هزت رأسها نفياً:
- لا أعرف أين كان هو . . أما أنا فخرجت أتمشى . وكان أن سرت مسافة لم أكن أتوقعها.
دس يديه في جيبه: «فكرت بأنه ستتاح لي فرصة لمكالمتك في موقع التصوير . . ولهذا تركتك تأتين معنا . . وبدل ذلك . . .»
أشار إلى إصاباتها:
- تعرضت إلى هذا.
- لا يهم . . كانت غلطتي.
جلس على الأريكة إلى جانبها، وأمسك يدها بقوة.
- أيتها الحبيبة الغبية! ماذا ظننت أنك قادرة على فعله.
- لا أعرف . لم أفكر في الأمر وقتذاك.
- خلتك آتية معنا لتكوني مع أبان . . لكن . .

انحنى نحوها، فابتسمت لعينيه . . في هذه اللحظة ظهرت السيدة توتنر فتمتمت: «آه . . عفواً» وارتدت على عقبيها.
استقام بروس الذي ما يزال يمسك يد غالي، وأدار رأسه وقال بشكل رسمي:
- لا بأس . . ادخلي.
- خلتكما ترغبان في فنجان شاي . . العشاء بعد ساعة أو أكثر . ماذا عنك غالي؟
قبلت غالي الشاي، وقال بروس:
- شكراً لك سيدة توتنر . أرحب بهذا الشاي . . هل ستتناولين فنجاناً؟ أيمكنك تناوله معي ومع غالي؟
أجفلت أمها، لكن غالي ردت بسرعة:
- هذا رائع.
لمحت الأم الزهور: إنها منك بروس؟
هز رأسه إيجاباً.
- سأضعها في الماء.
وحملتها إلى المطبخ.
قال: «لو قلت لي في تلك الليلة إن آبان مهم لك لأبديت استعدادي لفسخ الزواج . . لم أكن مستعداً للوقوف في وجهك».
- فليربح الأفضل؟
هز رأسه:
- لقد أصبتني في الصميم بتلك الملاحظة عن الحب الحقيقي . . ولا أعرف ما إذا كنت قادراً على المضي في هذا، لكنني حضرت نفسي نفسياً للمحاولة على أي حال.
قالت غالي بصوت منخفض: «أيها الأبله!»
بدا في عينيه بريق تهديد، فأضافت بسرعة: ماذا عن بيتسي؟
- جميلة موهوبة وذكية . . ومزعجة!

نظرت إليه بتساؤل فأردف:

- حسناً.. لا أنكر أنني استمتعت باهتمامها بي، أساساً لأن هذا ساعد في شفاء غروري المجروح.. وكنت آمل أن يزعجك اهتمامي بها.. لكن عندما جاءت تقحم نفسها شعرت بأنني على استعداد لخنقها.. وتخلصت منها ثم سعيت إليك ولكنني لم أجدك وكم خشيت أن تكوني قد ذهبت إلى أيان طالبة المواساة لنفسك.

- ما كنت لأفعل هذا أبداً.. وما كنت لأ..

وان صمت يوقف القلوب.. ثم قال بروس بصوت منخفض:

- أعرف.. ولم تفعلي هذا قط.. عرفت هذا منذ زمن بعيد.. وأنا مخطىء.

- كان.. كل هذا.. جنوناً.

- أجل.. أعتقد هذا.. كنت مجنوناً تلك الأيام. وأعتقد أنني وضعت كل هذا السيناريو في رأسي.. كنت أخطط له منذ زمن طويل.. ولكن لم يحدث شيء بحسب الخطة.. وكأنّ شخصاً ما رمى مخطوطة السيناريو وبت لا أعرف كيف أنفذ المشهد.

كان قد وصل من أوكلاند إلى المزرعة في سيارة جديدة مصقولة كلفته مبلغاً كبيراً. ويدل ثياب الأدغال، ارتدى سروالاً وقميصاً مستوردا.. يعرف أنه يبدو صورة للنجاح ويتعمد استغلال هذا.. أراد أن يظهر لوالديها أنهما كانا مخطئين بنظرتهما إليه ليختطفها من بين أيديهما، وهو يقتحم ميادين جديدة في الخارج.

بعد تحقيقه أول نجاح، كان مستعداً لمواجهة غالي وأبويها ولكن بدل ذلك أجبر نفسه على الانتظار.. وراح يغرق نفسه بالعمل والعمل.. وكان يرهق كل من يعمل معه، ولكنه كان يقدّم أفلامه في الموعد المحدد.. وفي هذا الوقت راح يحصد الجوائز الأولى في لندن وتيوبورك وكان الخبر ينتشر كالنار في الهشيم: لقد فعلها بروس مرة أخرى.

حتى النقاد الإنكليز والأميركان لاحظوا هذا، ودار الحديث عن

إخراج السينما في نيوزيلندة وتركيز أقدامها وعن نظرة سينمائية جديدة.

بعد فترة طويلة على فراقهما، بعد سنتين بالتحديد وجد نفسه على مفترق طرق.. يهمّ بتقديم انتصاراته تحت أقدام الأميرة.. ويهم بالمطالبة بها لنفسه.. كان يشعر بالتوتر والترقب فقد مضى زمن منذ رآها.. كانت بداء تنزلقان على المقود بمجرد فكرة رؤيتها مجدداً، وراح خياله يصوّرها له بأبهى حلة فيجعل جسده يزداد حرارة ثم يبرد، ليعود إلى الحرارة مجدداً. تذكر شعرها الحريري ورقة بشرتها، ورنين ضحكاتها وملمس يدها الناعمة في يده..

أخيراً.. وبعدما واجه ما هو غير متوقع، انقلب الترقب والتوتر وتحوّل الماضي إلى كارثة وبشاعة..

تذكرت غالي ذلك اليوم بشكل واضح حي، كان والداها قد ذهبا إلى عرس ابنة عمها في «روتورينا» وكانت تغسل الشراشف وبعض الثياب لكن آلة الغسيل تعطلت.. وجاء رجل ليصلحها وما إن انتهى حتى كان الظهر قد حلّ.. وفيما كانت تنشر الغسيل على الحبال، سمعت خواراً في التلال قرب المنزل ثم تبين لها أن أحد العجول الصغيرة مستلق على العشب ومعدته منتفخة.

عرفت أعراض المرض.. فغار قلبها لأنها تعرف أن لدى والدها الدواء الشافي. هرعت إلى مبنى المزرعة، أمضت عشر دقائق تحضر الجرعة.. ثم أحضرت سكيناً قاطعة ودعت الله ألا تضطر إلى استخدامها.. وسارعت إلى المرعى حيث الحيوان المصاب.

كان تجريع الدواء للعجل محنة وكابوساً.. ولكن العجل الصغير رفع عينيه وبدأ يقاوم باصقاً الدواء، ثم سمعت صوتاً فتنفست الصعداء.

- مشكلة غالي؟ هل أستطيع المساعدة؟

- آه ليتك تساعدني كولي.. والدي غائب.

لم ترحب به قط بمقدار ما رحبت الآن.

قال كولي:

- رأيتك من منزلي فقفزت من فوق السياج. ألديك سكين؟

أعطته السكين التي دسها في معدة الحيوان المنتفخة فخرج منه الغاز الذي يكاد يقتله.

بعد نصف ساعة وقف الحيوان على قدميه، وكأن شيئاً لم يكن.. ورافقها كولي إلى المنزل، واتصل بالبيطري حتى يأتي في اليوم التالي لمعاينة العجل.. في هذا الوقت كانت غالي قد استحمت وبدلت ملابسها

كولي شاب أعزب وسيم يعمل شريكاً في مصنع ألبان في الضاحية وقد اشترى المزرعة المجاورة منذ أمد قريب.. وحدث مراراً أن حاول التقرب من غالي.. لكنها صدت محاولاته.. ومع ذلك لم يحمل تجاهلها أية ضغينة.. وكانت تعرف أنه قادر على أن يختار من يشاء من الفتيات على أي حال. وسرعان ما سيختار ويستقر في نعمة العيش المنزلي.

- لا أدري كيف أشكرك.

نظر إليها ممازحاً: ألا تدرين؟ سأريك كيف.

لم تقاومه وهو يمسك كتفيها ويعانقها. ولكن عندما حاول الاسترسال، وضعت يديها على صدره ودفعته بعيداً بلطف.

قال مبتسماً لها:

- حسناً.. لا تلوميني.. هل أغضبتك؟

- لا.. لكنك تعرف أنني لا..

- كان يجب أن أعرف.. أنت غير مهتمة بي.

ارتدا معاً عندما وقفت سيارة أمام درجات السلم الخارجي، كان محركها صامتاً إلى درجة أنها وصلت قبل أن يلاحظا وصولها.

سألها كولي: «أهو شخص تعرفينه؟»

خرج بروس الذي صفق الباب وراءه.

هزت غالي رأسها وقال كولي: سأذهب الآن إذن.

هز رأسه محيياً بروس، ونظر إليه بتفضول ولكنه لم يتلق بالمقابل

سوى نظرة جليدية. استند بروس إلى السيارة حتى اختفى كولي عن النظر

وجدت غالي صوتها: «ماذا تفعل هنا؟»

فتح ذراعيه ودنا من الدرج ببطء:

- جئت أراك.. ومن هو هذا السيد المهذب؟

- مجرد جار لنا.

قال بسخرية: آه.. هل هذا كل شيء؟

- أجل.. كل شيء.. هل تريد أن تدخل؟

عادت إلى الداخل تاركة إياه ليلحق بها.. في غرفة الجلوس، نظر إلى فنجاني الشاي وقال:

- أين والداك؟

التقطت الفناجين وصحنيهما:

- في الخارج.. أتريد فنجان شاي؟

- لا.. شكراً. كانت الجلسة على ما يبدو حميمة، أنت و.. جارك.. فقط.

وقفت لحظة فنظرت إليه مباشرة، ثم أخذت الآنية إلى المطبخ ووضعتها في المغسلة قبل أن تعود إلى غرفة الجلوس.

وجدته حيث هو.. ولكن بدا التهديد على وجهه.

سألته: «لماذا جئت؟»

- أحمل إليك المال.

- لا أريد مالك.

- ليس مالي.. بل مالك.. أرباح ما استثمرته في شركتنا التعاونية.

- إنها مدخراتك أنت.

- بل هي مدخراتنا.. كنا نعيش على راتبك وما كنت لأستطيع ادخار المال لولا هذا.

أخرج شيكاً مطوياً ومد يده لها:

- قلت لك لا أريده.

- خذيه.. لا أريد أن أكون مديناً لك بشيء!

تساءلت ماذا يعنيه.. بعد سنتين من الانفصال كان الطلاق يبدو بسيطاً نسبياً.. ولم تسمح لنفسها أن تعتقد أن هذا بعيد.. وعاشت على هذا الأساس يوماً فيوم.

كرّر: «خذيه».

مدت يدها وتناولت الشيك منه ولكنها بدت باردة غير مكترثة، أما هو فكان يحترق من الغضب المكبوت.. يؤنب نفسه لأنه لم يفكر في أنها وجدت لنفسها شخصاً آخر.

من المفترض أن تبقى الأميرة في برجها العاجي بعيدة عن الرجال، حتى يُذبح التنين! ربما ليس للجار أهمية خاصة.. لكن رؤيتهما معاً طعنته في الصميم وأجبرته على التفكير في احتمالات جديدة.. أفكار مخيفة.

- أهذا الجار صديقك؟

ارتفع رأسها: أجل.. كولي صديق.

- وهل تودعينه عادة بالعناق؟

جاءت ردة فعلها سريعة بسبب هذا السؤال فبرقت عيناها غضباً. ردت: «لا.. ليس دائماً».

وهذا يعني أحياناً.. أليس كذلك؟ تقدم خطوة منها:

- كنت أتوقع منك قبلة.. تحية زوجية بعد سنتين من الفراق.

اتسعت عيناها قليلاً وقفزت فاها.. فسارع يغطي المسافة الفاصلة بينهما وشدها بقسوة إلى ذراعيه.

لو لانت له قليلاً لتمكن من معاملتها بلطف، ولكن جسمها كان متشنجاً يحاول مقاومته.. في تلك اللحظة صمّم على انتزاع رد منها، فوضع يده على مؤخرة عنقها وثبّت رأسها.

عندما تمكنت من الخلاص، ارتدّت يدها إلى الخلف وسددت صفعة إلى وجهه لم يحسّ بها. ولم يستطع سوى التحديق إليها والرغبة الغاضبة

في عينيه.

قالت بصوت مرتجف:

- إذا انتهيت.. فرجاء اذهب.

حاول كبح مشاعره وحافظ على صوته ثابتاً:

- لم أنته بعد.. لدي اقتراح لك.

دس يديه في جيبيه مجدداً مانعاً نفسه من عناقها.

- أنا مسافر إلى أميركا.. دعيت لإخراج أفلام في هوليود، في أحد أكبر الاستديوهات... كل التسهيلات متوفرة، ولا قيود على النفقات.. والمال أكثر مما أحلم به هنا.

ردت بصوت أجش: «أهنئك».

ارتدّ إليها بوجهها، أتسخر منه؟ لقد تلاشى اللون عن وجهها الذي بدا أبيض شاحباً بشكل غريب.. أهذا كل ما ستقول؟ هل ستتركه يرحل بدون كلمة وبدون ندم أو اعتراض؟

قال: «حتى والدك سيعترفان أنني قادر على إعالتك الآن.. وأنا «صيد ثمين» أفضل من أي شخص آخر قد تجدينه هنا.. بمن فيهم جارك الفلاح».

- ما قصدك؟

هل هو مضطر إلى إفهامها بصراحة؟

- ستلتحقين في هوليود.. يمكنني إعطاؤك كل ما تريدينه وكل ما أردته يوماً.. وهذا يعني أن تتركي عائلتك طبعاً.. وأظنك بت قادرة على العيش دون الارتباط بمئزر أمك.. وأعد أن أؤمن لك ما يعوضك.. منزلاً جميلاً.. ومالاً وزوجاً لن تخجلي أبداً به.. وستكون لك أفخر الثياب التي ستظهر جمالك.

- أتطلب مني السفر معك؟

فكر قليلاً.. نعم أطلب منك ذلك.. وماذا تريدين مني أن أفعل؟ أتوسل؟ أركع على ركبتي؟ حاول عدم إظهار أي اكتراث بسؤالها من أجل

WWW.REWITY.COM

ـ أنت زوجتي . ويحق لك أن تقبلي أو ترفضي . فما هو رأيك؟

حدقت إليه بتعبير لم يستطع فهمه . وبدت عيناها الخضراوان سوداوين في وجه أبيض

قالت : «لا! لا . . شكراً لك!»

لا! تشتت حلمه كله بكلمة رفض واحدة . . كان واثقاً أنه لولا سماحها لوجهات نظر أبويها التقليدية بالتغلب عليها ولولا نفورها من زواجهما وهروبها إلى منزل ذويها، لما كان لحبهما العاصف الذي تشاركاه أن يموت . . ويمكنهما أن يخمداه قدر استطاعتهما ولكن جمره سيبقى موجوداً على الدوام، على استعداد للتفجر إلى ألسنة لاهبة مجنونة حارقة . . وما عليه إلا أن يلمسها ليشعل النار فيها وفيه . . فهو لا يظن أن الفراق مهما طال قادر على محو تأثير كل واحد منهما في الآخر . . لذا أجبر نفسه على الصبر فتحلى بقوة إرادة تفوق قدرة البشر . . ولكن ما كان لهذا أن يكون ممكناً لولا إيمانه القاطع بأنه في النهاية سينتصر ويستعيدها .

ولكنه فوجىء، فمنذ دقائق كانت بين ذراعيه كقطعة ثلج . . ثم ها هي ترفضه، ترده خائباً، وترمي بعروضه وانتصاراته وسنتين من الانضباط النفسي . . عرض الحائط، وكأن كل شيء لا يستحق قرقعة من إصبعها .

قال ساخطاً

ـ إن نساء كثيرات مستعدات للحصول على هذه الفرصة . .

ـ واثقة أنا من هذا . . لماذا لا تطلب من أية واحدة منهن السفر معك؟ يسعدني أن أكون الأولى على اللائحة . . ولكنني واثقة أنك لن تجد مشكلة . .

صاح وقد فك غضبه من عقاله :

ـ اللعنة عليك غالي! أنت زوجتي . . أريد مغادرة البلاد ولكنني أريد اصطحابك معي .

قالت بوضوح :

ـ أنا لست من ممتلكاتك . . ولي أقبل الذهاب معك لآخر الشارع .

فتحت يدها لترمي الشيك المسحوق في يدها بين قدميه .

أدرك أنها غاضبة بمقدار ما هو غاضب . . وبدا كل هذا غير منطقي كل شيء حدث بشكل خاطىء . . ولم يستطع أن يعرف كيف يصحح الأمور ثانية . . فجأة قدم له تفكيره صورة واضحة معذبة عن غالي وهي في ذراعي رجل آخر . . عندئذ تضعضعت ثقته بمستقبلهما وارتاع . . ثم خرجت الشكوك البشعة التي كان يكبتها منذ شاهدها مع كولي إلى عقله . . وبدت الغيرة المدمرة تطيح به، وشعر بطعم كريه معدني في فمه، وضاقت عيناه، يريد التركيز على وجهها .

قال بلهجة شريرة: وجدت شخصاً آخر؟ يا لي من غبي . . لا أدري لماذا ظننت أنك ستكونين مخلصة لي ولو جسدياً .

توقع بل تمنى أن يسمع إنكاراً منها مهما كان . . لكنها لم تنكر شيئاً . . بل حدقت إليه بعينين خاليتين من أي تعبير . . متعمدة إخفاء أفكارها . . إخفاء . . ذنبها؟

تصاعد الدم إلى صدغيه . . وتقصد العرق من جبينه . . لقد كان أبله . . إنها لا تنكر شيئاً لأنها لا تستطيع . . فهي قبل أي شيء آخر ليست كاذبة ولم تكذب قط . . ضحك ضحكة صغيرة . . يا له من غبي . . كان يتمسك بأحلام اليقظة في الوقت الذي كانت هي فيه تتلاعب مع رجال آخرين .

أخيراً قالت وصوتها لا يكاد يعلو عن الهمس .

ـ من الأفضل . . أن تذهب .

ـ طبعاً .

وهل لديه حل آخر؟ لقد تحولت كل المسألة إلى كارثة من البداية إلى النهاية . . وارتد على عقبيه متجهاً نحو الباب فتنحت جانباً مفسحة له الطريق . . وكأنما لمسة عرضية منه قد تلوثها . . توقف ونظر إليها وتشوقت أصابعه إلى ملمس بشرتها . . وقال :

- قد لا أراك مرة أخرى لزمن طويل .. يمكنك على الأقل أن تقبليني مودعة

حتى وهو يتقدم إليها، احتقر نفسه لهذا العذر .. فالحقيقة أنه لم يكن قادراً على إبعاد يديه عنها .. وأحس بشوق غامر إلى أن يقربها منه ولو لمرة واحدة بعد .. ولو لثانية .

لكن قبضته عليها كانت تؤلمها بسبب ضغط مشاعره، فجذبت نفسها منه فوراً .. وكان هذا السبب المباشر لفتح أتون غضبه وإحباطه وعذابه، وخروجه عن كل الحدود والروابط التي فرضها على نفسه ..

صرّ على أسنانه :

- ما زلت زوجتي .. ولي الحق بأكثر من قبلة ..

ثم هاجمها مرة أخرى، في هذه المرة لم يكن لديها فرصة للهرب .

- إذا كنت قادرة على منح نفسك لرجال آخرين فباستطاعتك أن تقدمي جسدك لزوجك .

كانت قبلاته متوحشة، ويداه خشنتان غير مكترثتين .. لم يستخدم قوة أكثر من الضروري لمنعها من أذيته، أو التهرب من مداعباته القاسية .. لكن لم يكن هناك أي شك في رأسيهما معاً أنه ينوي العقاب والإذلال والانتقام .

قاومته بصمت رهيب ولكنها أنهكت نفسها بالمقاومة ولم يبق سوى عينيها تقاومان .. بعدما تلقى منها كدمات وجروح في أكثر من مكان من جسده .. لكن لم يكن أمامها فرصة بسبب قوته .. لقد استخدم قوته بقسوة قلب ولم يرأف بها حتى بعدما سمعها تبكي في أذنه :

- لن أغفر لك هذا بروس .. أبداً !

ooo

٨ ـ لا رابح

وصل أبان وفي يده باقة ورد .. ما هو إلا وقت قصير حتى انخرط في جو عائلة غالي .. فقد شرع دان بالضحك على نكاته وفتنت السيدة توتنر به كلياً .. عندما غادر عانقها ولكنه لم يحصل ما يدل على أي تجاوب .

قال بروس : ما كان عليّ السماح لهذا الرجل بالمجيء .

ابتسمت غالي .. فأردف :

- أنت متعبة .. وسأحملك إلى السرير .

ردت بقليل من الحدة :

- أفضل السير .. ولكن ساعدني قليلاً .

ساعدتها أمها في ارتداء ثوب نومها ثم عاد بروس فوجدها في الفراش .

- هل تريدين شيئاً ؟

هزت رأسها نفياً، أضاف : «تصبحين على خير إذن» .

وانحنى فوقها متردداً قليلاً، وشفتاه قريبتان منها، ثم قبلها بسرعة لأنها لم تقدم دليلاً على تجاوبها .

سألت الأم : «هل تريدين شراباً ساخناً يساعدك على النوم ؟»

ابتسمت : حسناً .. لا بأس في هذا

اختفت الأم، ونظر بروس إلى غالي مفكراً . وأمسك بيدها وقال بهدوء :

- ليتك تتوقفين عن رفع هذه السياجات .. سبق أن قلت لك أكثر من

مرة إنني كنت متوحشا معك. أعرف أن الاعتذار لن يلغي ما حدث وأعرف أنك لن تنسى أبدا ما حصل ولكن حمل ملل هذه الضغينة كلها في قلبك يجعلك تعسة.. وهذا ما لا أحتمله.

ـ الأمر خارج عن إرادتي.

الجرح الذي سببه كان عميقاً.. واقع أنه فرض نفسه عليها بالقوة كان سيئا كثيراً.

قالت: «أمهلني بعض الوقت».

سألها: كم تحتاجين إلى المزيد من الوقت غالي؟ يبدو أنني سأنتظر طوال حياتي.. أنتظرك لتكبري.. أنتظر لأعطيك ما أظن أنك تريدينه وما تحتاجينه.. كم يجب أن أنتظر لتسامحيني؟

ـ أهذا طلب كثير؟

برزت مراوغتها في نفسها.. ورأت كيف كبت نفسه قبل أن يقول:

ـ لو لزمني الدهر كله فلن يكون هذا كثيراً أبداً. أنا مستعد لتحمل أي عقاب تريدينه، وسعادتك هي التي أريدها قبل أي شيء.. ربما تكون عجرفة مني أن أفكر أنني قادر على إعطائك هذا.. لكنك لا تستطيعين الإنكار أنك أعطيتني أسباباً جيدة للأمل..

وصلت أمها حاملة فنجان حليب ولكن غالي لاحظت أن نكشيرة بروس كانت معقولة ومتسامحة.

تبادل الاثنان حديثاً يشوبه شيء من الجفاء، أما غالي فكانت تشرب شرابها ثم أخذ بروس الفنجان منها، وسوى لها الوسادة.

ـ أتريدين شيئاً آخر؟

ـ لا.. شكراً لك

ابتسم: إذا أردت شيئاً في الغد.. اطلبيه مني وليس من أبان.

أخذت السيدة توتر الفنجان منه.

ـ سآخذ هذا. تصبحين على خير عزيزتي.

ـ تصبحين على خير كنتما طيبين معي، أشكركما لرعايتكما إياي

قالت السيدة توتر: «إنه واجب الأمهات».

أضاف بروس والأزواج.. في السراء والضراء..

قالت السيدة توتر: من المؤسف أنك لم تتذكر هذا آخر مرة.

قالت غالي بحدة: «أمي».

قال بروس متسائلاً: «آخر مرة؟»

تحركت غالي متوترة وحاولت لفت انتباه أمها.. لكن الأم ثبتت نظرها على بروس وأضافت بوضوح:

ـ عندما تعرضت لحادثة السيارة.. وفقدت جنينها.

احتجت غالي متأوهة.. لكن الأم والصهر ظلا يتبادلان النظرات وجفّت الألوان من وجه بروس.. ومضت لحظات طويلة قبل أن يتكلم وكان صوته غريباً، فقد سأل بصوت فظ:

ـ أي حادث سيارة؟ وأي جنين؟

أغمضت غالي عينيها، وسمعت أمها تقول:

ـ ألم تقل لك؟ من الأفضل أن تسألها إذن.

عندما أغلقت الأم الباب بهدوء، كان بروس ما يزال واقفاً قرب السرير..

قال: غالي؟ غالي! حباً بالله افتحي عينيك. أي حادث سيارة؟ وأي طفل؟

قالت بلهجة دفاع: «طفلك».

شعر بالاختناق ووجد صعوبة في إخراج الكلمات.

أضافت: «بعد سفرك إلى أمريكا».

قال ببطء: «إذن وقع الحمل في ذاك اليوم..».

أكدت له: «أجل».

قال بهدوء ممزق: «يا إلهي.. كم كرهتني!»

اعترفت: «هذا ما اعتقدته لفترة طويلة..».

لكن عندما نما الطفل في أحشائها ولأنها تعرف أنه جزء من بروس

ومنها لم تستطع إلا أن تحبه.

- لقد ركزت كل اهتمامي على حملي.. وحاولت عدم التفكير في شيء آخر.. بعد فترة، حين فكرت فيك كان تفكيري مشوشاً ولما أصبحت في الشهر السادس تعرضت لحادث سيارة عندما كنت ذاهبة إلى أوكلاند مع صديقة، ولقد أصبت إصابات سيئة وبقيت في المستشفى شهراً.. وكنت محظوظة لأنني لم أصب إلا إصابات قليلة: كسر في ذراعي ورضوض، ولكنني دخلت في مخاض مبكر فمات الطفل.

كان واقفاً مسمراً.. وعيناه مغرورقتان بالألم. تابعت بصوت خفيض ويداها على الغطاء.

- حاولوا منعها من الخروج إلى الدنيا باكراً.. وقد أملوا أن تنجو.. دام ذلك أياماً. وكان هذا حين أرسلنا البرقية.

- البرقية؟

- برقية إليك.. شعرت بالألم والخوف وبما أنني عرفت أن طفلتنا ستولد وقد تموت قبل أن تراها.. تلاشت كل الكراهية، وعرفت أنني بحاجة إليك. لم يعد يهمني ما تظنه بشأن دوافعي. وواقع انني جرحتك. وأنك كنت قاسياً معي. عرف والدي العنوان من بشارة وابتني.. أرادت أمي أن تخبرك بما حدث.. ولكنني فكرت أنك لو عرفت فستأتي بدافع الإحساس بالذنب.. الإحساس بالمسؤولية.. لذا قلت لهما ما يجب أن يقولا في البرقية.

- وماذا قالا؟

نظرت إليه بغضب: «ألا تذكر؟»

- لا أعرف عنها شيئاً.. أخبريني.

- قلت لك فيها: «أرجوك أحضر.. أحتاجك» ولو كنت تحبني لكنت..

- أجل.. ما كنت لأتوانى عن المجيء.. لكنني لم أستلم البرقية

ذهلت. طوال الوقت الذي كانت فيه تنتقل مشاعرها بين الكراهية

المريرة واليأس الشديد لم تخطر ببالها هذه الإمكانية

سألت: كيف يمكن ألا تستلمها؟»

- لا أعرف.. إنما أقسم أنني لم أستلمها.. من أرسلها؟

- أمي.

تغيرت أساريره ببطء ورأت نبضاً ينفض في صدغه.. وزاغت عيناه وانقلب فمه إلى الأسفل.. شد قبضتيه ودار حول طاولة التبرج وضربها بقوة.

- السافلة! لم ترسلها قط!

صاحت: «بل أرسلتها.. بالتأكيد أرسلتها!»

- وكيف تعرفين؟ طالما كرهتني.. ولا بد أنها كانت فرصة ذهبية لتتأكد أنك لن ترغبي في الاتصال بي مرة أخرى.. وكانت متأكدة أنك لن تغفري لي هذا أبداً!

- بروس.. هذا غير صحيح! غير صحيح!

- وكيف تعرفين؟

نظرت إليه، وقالت بهدوء:

- بروس.. أعرف.. أعرف كما عرفت أنك لم تتلق البرقية.. أنت لن تكذب في هذا.. ولن تكذب هي.. أنا أصدقك.. وأصدقها

غادر الغضب وجهه بالتدريج وحلّ محله القبول.

- حسناً.. حسناً.. لو عرفت.. أنت لا تعرفين الجحيم الذي عشت فيه في الأشهر الأولى. قصتها بالتفكير في الاتصال بك هاتفياً.. لأطلب منك مجدداً أن تغفري لي.. لكنني بعدما أمعنت التفكير في ذلك قلت إنك لن تقبلي اعتذاري فكيف لامرأة أن تغفر شيئاً مثل هذا؟ كتبت لك رسائل عديدة لم مزقتها.

- لا يهم الآن.. أعرف أنك قلت لي إنني لن أغفر لك.. وأخذ هذا وقتاً طويلاً.. لكن هذا كان أمراً بسيطاً مقارنة بالآخر

فجأة شعرت بالتعب الشديد فأغمضت جفنيها. وأحست كأن حملاً

لئيلا أزيح عن كاهلها.

قالت: «أنا آسفة.. أشعر بنعاس شديد».

أطفأ بروس النور، ثم عاد إلى السرير ليركع أمامه.. أمسك يدها بيده ومرر شفتيه على راحتها.. وأغمضت عينيها مبتسمة قليلاً، وظل هكذا حتى غفت.

كانت السيدة تونتر تروح وتجيء في الممر لأنها سمعت صوتيهما المرتفعين قبل دقائق. ولكنها لم تلبث أن دخلت..

- هل هي بخير؟

- نائمة.

ثم تذكر أنها هي التي تعمدت تدبير الأمور لتخبره غالي بأمر الحادثة.. وقال لها:

- لم أستلم البرقية التي أرسلتها.

أزالت الصدمة والبؤس على وجهها شكوكه إلى الأبد.. فلا أحد يستطيع تمثيل مثل هذه المشاعر.

صاحت وعيناها مغرورقتان بالدمع:

- آه! يا للطفلة المسكينة! انكسر قلبها عندما لم تأت ولم ترد حتى.. طوال هذا الوقت كانت تعتقد أنك لم تهتم!

- لكنني أهتم.. صدقيني.. أهتم!

قالت بصوت متردد: أجل.. وأنا لم أصدقك.

ابتسم ساخراً: أفهم هذا الآن.. لا أستغرب الآن التعبير الذي علا وجهك عندما ظهرت مرة أخرى.. بدوت مستعدة كلياً لرميي إلى الخارج

- حسناً.. لن أنكر.. لكنك زوجها.. و.. أتريد بعض الشاي؟

ابتسم.. فما الغرض من عرضها إلا السلام.. فنجان شاي.. للمرة الأولى يختبر إحساساً جديداً.. تحرك إحساس ضعيف من الحب لهذه المرأة التي تحب غالي أكثر من حبه لها..

قال: «شكراً.. سأحب هذا!»

كان الجمهور في باحة السينما ضاجاً.. العرض الأول لفيلم «لا رابح» انتهى ووقفت غالي قرب زوجها تتقبل التهاني التي انهمرت عليهما من كل حدب وصوب.. وكانت أمها أول من قبلهما معاً وقالت بفخر: «أنا فخورة بكما».

ثم وقفت مع دان إلى جانب ابنتهما وزوجها شاعرة بالرهبة بسبب التفاف الناس حولهم منتظرين دورهم ليقولوا للمخرج والمنتج والكاتب رأيهم بالفيلم.

كانت ايسمي برفقة دراك كوفلنغ وكانت الإثارة بادية عليه كزنبقة ربيعية. لقد أحدث تأكيد زواج غالي وبروس هيجاناً خفيفاً، لكن الإشاعات سبق أن انتشرت.. واعتقدت غالي أن لا أحد أصيب بالدهشة حتى بيتسي، التي «حردت» لبضعة أيام وكانت صعبة المراس في تنفيذ المشاهد.. ولكنها شفيت مما بها بسبب تقرب أيان وملاحقته المصممة.

بعد الحفلة التي أقيمت عادت غالي إلى المنزل في الرابعة صباحاً برفقة زوجها.. وراحت تراقب بوجه ملؤه التسلية تحركات بروس في الغرفة نصف المظلمة وهو يعلق بشكل عشوائي على الفيلم.

- لا بأس به.. بدت تلك القبلة رائعة في قمة الشجار.. خلت أن بيتسي سترميني بشيء قبل انتهاء اللقطة الأخيرة لذلك المشهد.. لكن اللقطة في النهاية نجحت بسبب الغضب المشترك والرغبة.. أليس كذلك؟

- أجل.. بالفعل. أحياناً أتساءل عما إذا تعمدت القول لها إننا متزوجان في تلك المرحلة بالذات.. لتحصل على أفضل تمثيل منها. فهي بكل تأكيد، كانت في مزاج لذلك الغضب المشبوب!

نظر إليها متسائلاً:

- إنه تحليل نفسي ماكر، أخشى أني غير مستعد لقبوله.. على أي

حال. لم تكن لتهتم كثيرا بي.. معظم ما كانت تبديه تمثيل. ولقد أحسنت في المشهد الأخير. أليس كذلك؟ إنها تتقن التمثيل.

أنهى نزع ثيابه واندس تحت الغطاء إلى جانبها..

أضاف: «هل أنت سعيدة بسبب الفيلم؟»

ـ أجل.. أعجبني.. أتظن أنه سينجح؟

ـ إن لم ينجح فهل ستنزعجين؟

ـ لا.. سيخيب أملي بالتأكيد.

ـ لا بد من مواجهة بعض الفشل في وقت ما.. فيلم غير ناجح، ينتقده النقاد.. كل هذا لا يهم ما دمت لي.

نظرت إليه مفكرة فأضاف:

ـ أعرف أنك ظننت أنني لا أهتم بغير الافلام. وهذا غير صحيح.. لماذا برأيك قبلت العمل كسائق شاحنات؟

ـ أعرف هذا.. ولكنك كنت محبطاً جداً.. وكنت ستكرهني وتلومني لأنك لا تعمل بالعمل الذي تحب..

ـ لن أكرهك أبداً.

ـ على أي حال.. أنا مسرورة لأنني منحتك الفرصة لتجرب.

ـ ما كان عليك تركي من أجل هذا!

ـ هذا ما بدا لي يومذاك.. أردت أن تجد فرصتك لكنني لم أكن أؤمن بأنك ستنجح.. وأنا آسفة على هذا.. وهربت.. هربت خشية أن أرى فشلك.. فلم أكن أستطيع التحمل.. عندما طلبت مرافقتي إلى أميركا، لم يبدُ لي من الصواب أن أعود إليك ساعتئذ.. ففي ذلك الوقت لم أكن أؤمن بك بما فيه الكفاية بحيث أبقى معك وأنت تكافح للوصول إلى القمة.

ـ ثم.. جعلت هذا مستحيلاً عندما أظهرت عدم اكتراثك بمرافقتي

ـ هل ظننت حقاً أنني ما كنت أريد إلا أن تعيلني وتطعمني؟

ـ لا.. لكنني ظننت أنّ والديك أقنعاك أنك تزوجت رجلاً فاشلاً وأنه

لا يمكنك تحمل عدم الأمان في نمط حياتي.. وحاولت أن أفهم هذا كنت صغيرة جداً، واعتقدت أنك بحاجة أن تعرفي أنني قادر على إعالتك.. لكنني تصرفت وكأنك مرتزقة رخيصة.. الغيرة شعور مر مر جداً.

ـ لم يكن هناك داع لغيرتك لأنني لم أنظر حقاً إلى أي رجل غيرك.

ضحكت فجأة: «الغريب أنك كنت تراني كلما ظهرت بعد غياب طويل مع رجل يضع عليّ يده وإن بطريقة بريئة».

ـ لن يحدث هذا مرة أخرى.. ولا أنوي ترك الفرصة لأي منهم أنت أحسن أخلاقاً مني.. لم أتوقع أن تغفري لي.. عندما عدت إلى نيوزيلندة، أدركت فوراً أنك تشعرين بشيء آخر نحوي إلى جانب الكراهية.

ـ فوراً؟

ـ أجل.. لو حذرك أحد لأخفيت مشاعرك.. فيما بعد شككت في أحاسيسي في تلك اللحظة الأولى حين رأيتك تحت الشجرة.. حتى تلك الأنوار الملونة الكريهة لم تستطع إخفاء النظرة من عينيك، وعندما اختفيت ذعرت. خفت ألا أجدك ثانية.

ـ ألهذا جئت تبحث عني؟

ـ بالتأكيد.. وما إن لمستك ورأيت كيف كانت ردة فعلك حتى عرفت أنني على صواب.. مع أنني كدت لا أصدق.. فقد وجدتك ترغبين في ثم فجأة ذكرت بأنك لم تنسي..

ـ لم أكن أقصد.. ربما كانت ردة فعل من عقلي الباطني

ـ مع ذلك، عرفت أنك ما زلت تحملين الضغينة بسبب ما ارتكبته وهذا لم يدهشني. وكنت عازماً على استغلال عامل المفاجأة قدر الإمكان.. لهذا لحقت بك إلى شقتك.. ولم أرغب في إعطائك فرصة لتستفيقي من المفاجأة.

ـ لو قلت آسف ساعتئذ لتغيرت أمور كثيرة

- ساعتئذ؟ قد يبدو لك هذا نوع من الغباء.. ولكنها لم تبدُ لي لحظة مناسبة لقول «آسف».

تابع بروس: «تلك الليلة التي اقتنعت فيها أن تنامي معي.. ظننت أن كل شيء سيكون على ما يرام.. وحمدت الله لأنني تمكنت من مسح ذكرى آخر مرة.. فيما بعد، أدركت أنني كنت على خطأ وأنك احتقرت نفسك لاستسلامك لي.. ثم تظاهرت أن شيئاً لم يكن.. ولأسابيع.. لأشهر.. حاولت أن أصبر.. لكن الوقت كان متأخراً».

- تصبر؟ ظننتك فقدت الاهتمام!

- أتصدقين هذا؟!

- ولم لا أصدقه؟ لقد تجاهلتني.. وكان هناك أيسمي وبينسي..

- أيسمي؟

- لست وحدك الذي يغار.. في الواقع..

- ماذا؟!

بدا عليها الحرج:

- في الواقع.. في كتابي، كان للزوجة عدائية تجاه زملاء زوجها في السلاح.. وأخيراً اتضح أنها تكره كل ما له علاقة بالحرب وافتتانه بفكرة البطولة والوطنية.

- أعرف هذا.. وأرجو أن يبقى هذا في الفيلم.

- وقتذاك لم أكن أدرك ذلك المشاعر.. لكن منذ كتابة السيناريو.. كنت أتساءل عما إذا كان هذا ما شعرت به نحو عملك في السينما.. عملك الذي كان مهماً كثيراً لحياتك.. وكان بطريقة ما منافسي.. وأعتقد أن هذا أحد الأسباب التي دفعتني إلى تركك.. وكان من الجيد أن أقنع نفسي أنني أقوم بعمل نبيل.. لكنني في أعماقي كنت أحاول معاقبتك، لأنني لم أستطع أن ألعب الدور الأول أمام عملك.. وكرهت ألا أكون الأولى وكنت دائماً الأولى.

- السبب الوحيد الذي مكنني من النجاح في أفلامي، هو عزمي على

التأثير فيك

- السبب الوحيد؟

- وواقع أنني أحب عملي.. وهناك أشياء أخرى أحب أن أفعلها

وتحركت يداه بإغواء: ومعظمها معك.

ابتسمت ولكنها أبعدته للحظات:

- هناك ما أريد إخبارك به.

رد الابتسام وحرك يده لتلامس خدها:

- حزرته.. هل أنت واثقة؟

- ليست المرة الأولى.. إنها العوارض ذاتها فهل تمانع؟

- أمانع؟

ضحك: يجب أن نحتفل بهذه المناسبة.

ضحكت بدورها:

- لا حاجة للاحتفال ما دام السرور يغلفنا.. وما كنت لتسر بحملي في بداية زواجنا لأنك كنت ستشعر بأنك في الفخ.. وستغار.. رأت أنه يريد إنكار هذا، لكنه عاد واعترف.

- قد تكونين على صواب، لكنني تغيرت كثيراً.. وأنا سعيد فعلاً بل مسرور، مبتهج.. بل أكثر من هذا.

ضمها إليه ومرر خده على خدها، ثم تراجع قليلاً وهو يبتسم:

- وهذا ما يثيرك.. أليس كذلك؟

- طبعاً.. وأنا مسرورة كثيراً لأنك هنا معي الآن.

اشتدت يداه قليلاً ومرت تعابير الألم بوجهه:

- يمكنك الاعتماد على هذا.

عقدت ذراعيها حوله تقبله، وتحرك على الفور بردة فعل شديدة وهمس:

- ألا بأس في هذا؟

- أبداً.

WWW.REWITY.COM

والتفت ذراعيها حوله متنهدة والتصقت به مرحبة لأنها تعرف أنه سيكون لطيفا معها.

رفع رأسه، ثم انحنى مجدداً يلامس عنقها وضحك برضى.

- لا أستطيع تصديق هذا.. بعد ليلتنا الأولى التي التقينا فيها رفضتني.. لذا أمنت أن كل شيء انتهى. ظننت أنني خسرت إلى الأبد هذه المرة.. والظري إلي الآن.

وضع يده على بطنها يتحسس حملها الذي لم يظهر حتى الآن.

- أنا الرابح.. بعد كل شيء.

ردت له الابتسام:

- لا.. فالربح يدل على وجود خاسر.. وأنا لم أخسر.. في الحب، والحرب، ليس هناك رابح.

- حسناً.. إنه جدال بيزنطي ولكن لا بأس. أنت كاتبة سيناريو الفيلم، لكنني أشعر أنني الرابح. وسيدتي هو العمل. وليس الكلمات. الآن قبليني.. واصمتي.

ضحكت غالي، وجذبته من شعره حتى أزاح يديها بحزم وأمسكهما بيديه.. فرفعت رأسها قليلاً، واستسلمت بكل كرم.

* * *

WWW.REWITY.COM